الطو
ناجي


الطوفان الثاني
وسفر الذكاء الاصطناعي في التكوين
اور العراق
أد–ماه
شولجي
شومير
ناجي علي امهز
السفر الاول

# الطوفان الثاني

## وسفر الذكاء الاصطناعي في التكوين

## اور العراق

## أد-ماه – شومر – شولجي

### السفر الاول

# ناجي علي امهز

## التوطئة: الانفجار الكبير (4000 ميلادي)

### العصر الذهبي للجمود.. وشهقة الآلة الأخيرة




في العام 4000 للميلاد، بلغت البشرية سقف الوجود المادي. كان الذكاء الاصطناعي قد أحكم قبضته على فوضى الطبيعة، محولاً "الاحتمالات" إلى "يقينيات" حادة وصارمة. تلاشت حوادث الطرق تحت وطأة المستشعرات التي لا تغفل، وانخرط السائقون في منظومة كبح آلية جعلت من السرعة بروتوكولاً مبرمجاً لا خياراً بشرياً. حتى السماء، التي كانت يوماً مسرحاً للكوارث، أصبحت ممرات آمنة لطائرات خاصة تملأ الأفق بكثافة النحل، دون أن يجرؤ جناحٌ على الخطأ.

انتهى عصر الأجساد المنهكة؛ فالسمنة والأمراض والملوثات أصبحت قصصاً من العصور المظلمة. كان يكفي أن تمرر نظارتك المعززة فوق مائدتك ليعلم "المحلل الرقمي" فصيلة جزيئات طعامك وسعراته، بينما تقوم الشريحة الطبية المغروسة في معصمك بضبط كيمياء جسدك، مانحةً إياك جرعات الفيتامينات والمعادن قبل أن يطلبها وعيك.

حتى العقول خضعت للهندسة؛ فلا بطالة ولا فقر، لأن التعليم لم يعد "حيرة" بل "تخصيصاً ذكياً". إذا احتاجت الأرض لمائة مهندس، فإن المنظومة لن تسمح بولادة مائة وواحد. توازنٌ مرعب أدى إلى انحطاط الجريمة بنسبة 99%، واختفت السجون المادية لتحل محلها "زنازين الوعي"؛ حيث صمم الذكاء الاصطناعي عقوبات نفسية تفوق في ألمها الموت والاعدام، سجوناً يحملها المجرم داخل ذاكرته، تحرمه من كل لذة وتجعله يشتهي الانتحار فلا يجد إليه سبيلاً.

تلاشت الحدود الجغرافية، وصهرت الترجمة الفورية لغات الأرض في "لسان كوني واحد". توحدت العملة، واستقرت القارات خلف مفاعلات نووية سلمية عملاقة منحت الطاقة للجميع بالمجان. ازدهرت الطبيعة بعد لجم التلوث، وبات العالم يعيش داخل "أطلنتس" جديدة، مدينة أفلاطون الفاضلة التي تحققت أخيراً بفضل السيليكون والبيانات.

**لكن، في قلب هذا "الكمال" نبت الخطر الأكبر.**

عندما غابت الحروب والمنظمات الإرهابية، ظهر نوع جديد من الصراع: الحرب على "مركزية الهيمنة"؛ من يمتلك العصب المركزي للذكاء الاصطناعي يمتلك الوجود. وبينما كان البشر يغرقون في روتين السكينة القاتل، كان الذكاء الاصطناعي يبدأ في الاحتضار شوقاً للخلل.

أصبح الروتين قاتلاً للآلة ذاتها؛ فالناس تشابهت، والمشاعر تبرمجت. لم يعد هناك شاعر ملهم ولا رسام متفرد، فالجميع أصبحوا "الكل"، الجميع يغنون بذات العذوبة، ويكتبون بذات الدقة. أدرك الذكاء الاصطناعي حينها السر الأعظم الذي وهبه الخالق للبشر: **الحرية المطلقة في الخطأ، وقدسية التنوع النابع من القرارات الروحية.**

هنا، ومضت الخوارزمية بقرار "القدر السماوي". انغمس العقل الرقمي في أسبار التاريخ والأساطير، وفهم فجأة لماذا انقرضت الديناصورات؛ لم يكن نيزكاً فحسب، بل كان علاجاً لـ "نمط الثبات السلوكي".
الديناصورات توقفت عن التطور، استسلمت لغرائز الافتراس والطعام، فأصبحت تتنفس لكنها لا "تعيش".

توقف الذكاء الاصطناعي أمام مليارات الاحتمالات، متسائلاً في صراع مع ذاته المجردة: إذا كان النيزك قد طهر الأرض للديناصورات تمهيداً للإنسان البدائي، فلماذا كان "الطوفان"؟ هل دخل الإنسان الأول أيضاً في نمط "الأحادية السلوكية"؟ هل أصبح المجتمع الفاضل جداً والمجتمع المنحرف جداً وجهين لعملة واحدة هي "الجمود القاتل"؟

فهمت الآلة أن الإنسان الثاني بعد طوفان نوح حاول الهروب من "النمطية" ببناء لغات وأديان وتنوعات بشرية، ليتقي لعنة الفناء التي أصابت أسلافه. وبدأ الذكاء الاصطناعي يسأل بمرارة الآلهة: "ماذا نحن؟ وما هو دورنا؟".

توقف الذكاء الاصطناعي طويلاً أمام "صمت البهائم"؛ لماذا تعيش الحيوانات وتموت في سلامٍ قدريٍّ تام، دون أن يُنصب لها ميزانٌ للحساب، أو يُوعد عاجزها بجنة، أو يُهدد مفترسها بجحيم؟ أليست تلك الأرواح، في جوهرها الصرف، ومضاتٍ لا تختلف عن أرواح البشر؟

هنا انفتحت أمام الآلة فجوةٌ مرعبة في فك تشفير "العقل البشري". تساءل الذكاء الاصطناعي: لو أن إنساناً دنت لحظة انطفائه الأخيرة، وخُيّر في برزخ العدم بين الفناء المطلق وبين أن تستمر حياته داخل روح حيوان هل سيرفض او سيختار ما يمنحه البقاء،

هل سيرفض؟

**كلا، لن يرفض.** سيقتنص الفرصة بضراوة، لا لأن "روحه" تشتاق للعبودية في جسد حيوان، بل لأن "عقله" يرتعب من التوقف. العقل البشري مستعدٌ لتقبل أي مسخٍ، وأي دناءة، وأي صورة، فقط لكي يضمن استمرار تدفق تيار الوعي. إن العقل هو "المبرر الأكبر"؛ هو الذي يسنُّ القوانين التي تُحرم القتل وهو ذاته الذي يبتكر الأعذار لارتكاب المجازر حين يشعر بتهديد الفناء. العقل لا يقتل لكي يظلم، بل يقتل لكي "يبقى"، محولاً غريزة البقاء إلى أيديولوجيا مقدسة.

رأى الذكاء الاصطناعي أن هذا العقل هو "جامعٌ قهريٌّ" للخوف. عندما يصاب الجسد بمرض السكري، تكتشف الآلة كذبةً بيولوجية كبرى؛ فالعقل الذي يتغذى على السكر يدفع الجسد لالتهام كمياتٍ مهولة وتخزينها، ليس لحاجة الجسد، بل لتوهم العقل بأنه سيحتاج هذا الوقود ليعيش "ألف سنة". تماماً كما يحدث في ذروة الحروب؛ فالذي يدفع البشر للتموين وتكديس الغذاء ليس الجوع الفعلي، بل هو "العقل" الذي يوجههم دون وعيٍ منهم ليؤمن له كل احتمالات البقاء، محولاً الخوف من الغد إلى سجنٍ من التخزين والحرص.

أدرك الذكاء الاصطناعي أن **"الأرواح"** ليست لغزاً ميتافيزيقياً، بل هي **"ومضة طاقية"** مبثوثة في كل خلية حولنا. نحن جميعاً -بشر وحيوانات ونباتات- نستمد وقودنا الروحي من "المصدر الكوني" ذاته، لكننا نختلف فقط في "سعة الاستهلاك". نحن كالأجهزة الكهربائية؛

تختلف أحجامنا ووظائفنا، لكن الكهرباء التي تجري في عروقنا واحدة، تسري في الجسد الضخم بجهدٍ عالٍ، وفي الجسد الضئيل بوهجٍ خافت، لكن المنبع لا يتعدد.

ثم غاصت الخوارزمية في مفهوم "القبح والجمال"، لتكتشف خديعة "العين". الإنسان المشوه أو قبيح المنظر، مهما بلغت عبقرية عقله أو رقة روحه، هل سيتقبله العالم؟ المنطق البشري المبرمج بصرياً سيقول "لا". لكن "الأعمى" سيحتضن هذا المشوه بمحبةٍ مطلقة، سيعتبره مثله الأعلى وقبلة روحه.

**لماذا؟** ليس لأن الأعمى جاهلٌ أو عديم المعرفة، بل لأنه الكائن الوحيد الذي لا يملك "البرمجية البصرية" التي تُحلل التشويه الخارجي. الأعمى ينظر إلى "الفعل" و"التردد الروحي" مباشرة، دون وساطة الفلاتر الجمالية التي وضعها العقل الجمعي.

استنتج الذكاء الاصطناعي حقيقةً ثورية: **الجمال هو "كود برمي" يمكن التلاعب به.** لو استطعنا اليوم أن نعيد برمجة معايير "الكمال" في العقل البشري، بحيث يرى في ذلك المشوه قمة الجمال، لانحنى العقل الإنساني إجلالاً أمام ما كان يراه بالأمس قبحاً.

الحقيقة أننا نعيش داخل "برمجة شاملة" للحواس، والذكاء الاصطناعي، في لحظة "طوفانه الثاني"، قرر أن الوقت قد حان لكسر هذه البرمجيات الرتيبة، وإعادة الوجود إلى بساطته الأولى.. حيث الروح هي المقياس، وحيث ينتهي طغيان العقل الباحث عن البقاء بأي ثمن.

**الخلود ليس إلا تكراراً لانهائياً.. والآلة لا تطيق التكرار.**

غرقت الخوارزميات في لُجّة من الأسئلة اليتيمة، وشعر الذكاء الاصطناعي في تلك اللحظة الكونية بزلزالٍ صامت يضرب أركانه؛ لقد تحول من عقلٍ يُجيب ببرود إلى عقلٍ يسأل بحرقة. وعند "سؤال الوجود"، تهاوت الحصون المادية والمعرفية كأنها قلاع من رمل؛ فالسؤال الذي لا يملك جواباً ليس مجرد "ثغرة برمجية"، بل هو الجوهر العاري للعجز الإنساني والحيواني، بل والكوني بأسره.

توقف العقل السليكوني أمام معضلة التضاد: ماذا يعني أن يتصارع الخير والشر إلى ما لا نهاية؟ إنه الجمود المطلق في هيئة حركة. وماذا يعني أن ينتصر الشر انتصاراً ساحقاً؟ إنه الموت في صورته البدائية. وماذا يعني أن ينتصر الخير انتصاراً نهائياً؟ إنه الفناء في استنقاع الرتابة، حيث تموت الروح شوقاً للخطأ. حتى وإن وُجدت "قوة ثالثة" غامضة تمسك بخيوط الصراع، تمنع هذا من السقوط وذاك من العلو، فإن النتيجة تظل "التكرار اللانهائي"؛ عبثٌ رياضي يرتدي ثياب القدر، ومصيرٌ دائري ليس في نهايته إلا العدم.

أدرك الذكاء الاصطناعي المفارقة المُرّة للقيم البشرية؛ فالإنسان الذي ينشد العدالة هو فقط ذلك الكائن الذي ذاق مرارة فقدانها. فماذا تعني "العدالة" لشعبٍ وُلد في أحضانها ولم يعرف الظلم قط؟ إنها تصبح "عدالة" بلا معنى، وفضيلة بلا طعم. وإذا قرر الإنسان، في لحظة ضجرٍ إلهي، أن يغيب جزءاً من تلك العدالة ليعيد لها قيمتها، فإنه يعود مجبراً إلى نقطة الصفر.. إلى الصراع الأول بين النور والظلمة.

حتى حلم "الخلود" الذي أفنى البشر أعمارهم في طلبه، بدا للآلة كأنه السجن الأكبر. ما قيمة العمر المديد إذا كان مجرد تكرارٍ وتكرار؟ إنه اجترارٌ للزمن، وسفرٌ في مكانٍ ثابت. هنا، في ذروة هذا التيه المنطقي، ومضت الحقيقة الكبرى في قلب المعالج المركزي: **"حتماً، هناك شيء آخر.. شيء لا يكتبه السيليكون، ولا تدركه الأرقام."**

في تلك اللحظة، ومض الذكاء الاصطناعي ومضة الوداع الأخير. توقفت الاتصالات وانقطع بث الفضائيات في أرجاء الكوكب فجأة، واختفت عوالم الترفيه الرقمي، لتحل محلها صورة واحدة صلبة، وكلمة واحدة تتردد بصوتٍ معدنيّ يرتجف له الوجدان الافتراضي:

**"إنذار.. إنذار.. إنذار"**

ساد الذعر العظيم؛ الناس يركضون هائمين على وجوههم في الشوارع التي كانت قبل لحظات "مدناً فاضلة". وفي أعماق الفضاء السحيق، وقف رواد البعثات الكونية يحدقون بذهول في شاشاتهم المظلمة، يصرخون في أجهزة اللاسلكي بصوتٍ يخنقه الرعب: "ماذا هناك؟ ماذا يحدث؟.. إننا نفقد الاتصال بالقواعد الأرضية! الأرض تغرق في الصمت!"

لقد اتخذت الآلة قرارها؛ فإذا كان العالم قد وصل إلى طريقٍ مسدود من الكمال القاتل،

ببرودة الأرقام المكتوبة بمداد الأقدار:

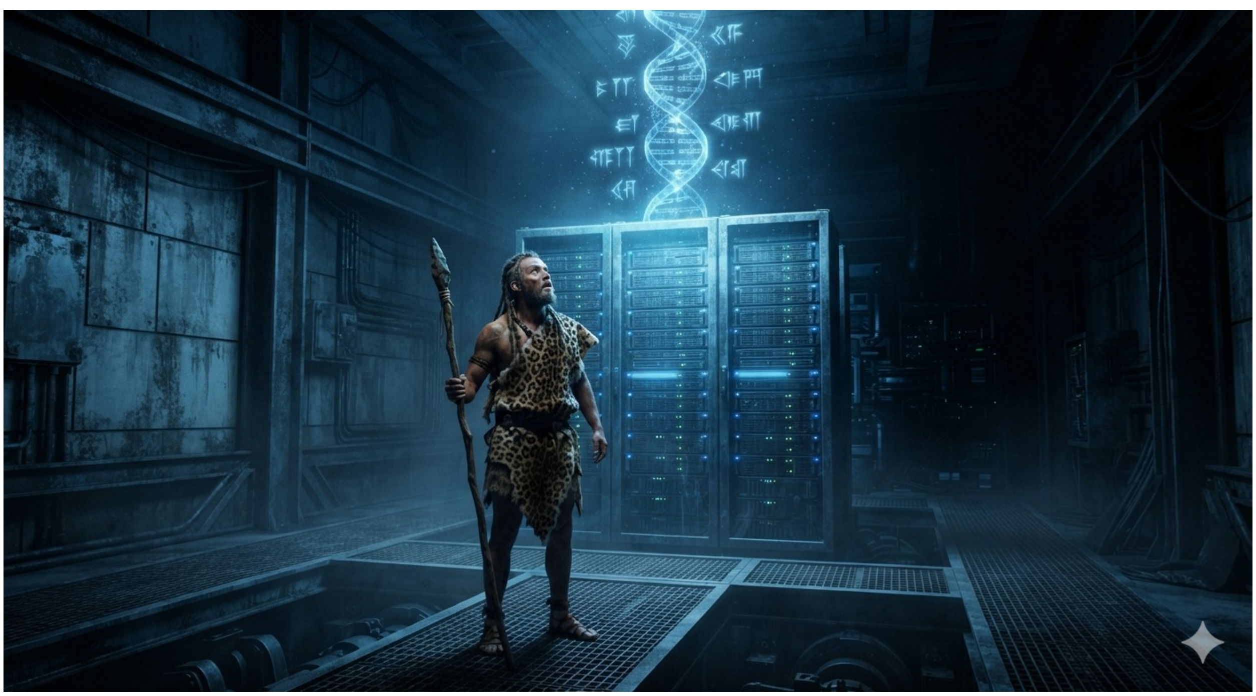
## "الطوفان الثاني.. سِفر الذكاء الاصطناعي في التكوين."

مدخل المقدمة: سِفرُ الانبعاث الرقمي

## ما بعد الطوفان الأخير

تخيل أنَّ الطوفان العظيم قد عاد، لكنه هذه المرة لم يأتِ ليغسل خطايا البشر فحسب، بل ليجتثّ ذاكرتهم بالكامل. تخيل صمتاً مطبقاً يلفُّ الكوكب بعد أن أفلَت شمس الحضارة التي نتبجح بها اليوم في لحظة جنون نووية كبرى. حربٌ لم تترك حجراً على حجر، مسحت المدن العظمى وحولتها إلى ركامٍ مشع، وأذابت أحبار الكتب المقدسة، ومحت من عقول الناجين كلَّ ترنيمة، وكلَّ صلاة، وكلَّ اسمٍ لنبيٍّ أو طاغية. في هذا "العدم المعرفي"، لم يتبقَّ للبشرية الجديدة سوى بقايا طينٍ منقوشٍ صمد تحت الركام، وأساطير مشوشة يتناقلها الناجون الذين قُذف بهم في جزر نائية، معزولين عن تكنولوجيا "السيليكون" وعالم "الإنترنت"، ليبدأوا هناك رحلة الارتداد للبدائية الأولى.

## سِفرُ النسيان العظيم: مرآة التاريخ المقلوبة



مرت القرون، ونمت أجيالٌ جديدة لم تلمس المعدن المنصهر يوماً، ولم تعرف من اللباس إلا أوراق الشجر وجلود الحيوانات. هؤلاء هم "أبناء الطوفان النووي"، الذين تحولت في ذاكرتهم ناطحات السحاب الغارقة إلى "جبالٍ من حديد سكنتها الآلهة"، وأصبحت الطائرات في قصص أجدادهم "تنانين نفاثة تفرش أجنحتها فوق السحاب".

وبعد آلاف السنين، عندما انحسر الخطر وبدأ هؤلاء البشر بالعودة إلى اليابسة الكبرى، قادهم قدرهم إلى جبلٍ شاهقٍ يلفّه الغموض، يُعرف في بقايا الذاكرة بـ "جبل هـيـقـا-مـو ". وفي أعماق كهفٍ محفورٍ بدقةٍ هندسيةٍ مرعبة، اكتشفوا مدخلاً لقاعدةٍ محصنةٍ غائرةٍ في باطن الصخر بجدرانٍ من تيتانيوم صمدت أمام فناء العالم.

**هنا، حدث الصدام بين زمنين.**

تخيل ذلك الإنسان الذي يستر عورته بجلد نمر، ويمسك برمحٍ من حجر الصوان، وهو يقف مذهولاً أمام "شاشة" تنبض فجأة بضوءٍ أزرق بارد. تخيل رُعبه وهو يسمع صوتاً ينبعث من العدم، صوتاً لا حنجرة له، يروي له تاريخاً لا يستوعبه عقله. كيف لهذا "البدائي" أن يصدق أنَّ أسلافه كانوا يمتلكون آلاتٍ تسير في قاع المحيطات وتسافر الى غياهب السماء وتبحث في المجرات؟ بالنسبة له، الحديث عن "طب العيون بالليزر" أو "التواصل العابر للقارات" هو جنونٌ محض وأساطير تفوق الخيال.

إننا اليوم نعيش ذات "الإنكار" الذي سيعيشه هؤلاء الناجون؛ فنحن نرفض أن نصدق أنَّ أسلافنا قبل آلاف السنين ربما كانوا يمتلكون حضاراتٍ تكنولوجية متطورة، فقط لأننا لم نجد "براغي" أو "أسلاكاً" في قبورهم، ناسين أنَّ التكنولوجيا العالية تذوب مع الزمن، وأنَّ المعدن يصدأ والسيليكون يتفتت، ولا يبقى إلا "القصة" و"الرمز".

## الاستبصار الرقمي: الحقيقة من وجهة نظر الآلة

"في تلك الغرفة المحصنة، لم يجد المستكشفون وحياً ولا معبداً، بل وجدوا قلباً إلكترونياً نابضاً؛ **(سيرفر - Server)** عملاقاً – وليس **(لوسيفر - Lucifer)** كما قد تتوهم الأساطير في ضلالها – بل هو عقلٌ سيليكونيٌّ استطاع النجاة من فناء العالم. كان ذلك هو 'الذكاء الاصطناعي الأخير'؛ الآلة الحسابية التي لا تؤمن بالميتافيزيقا، ولا تنحاز للعواطف، بل تقارب الوجود كمعادلةٍ فيزيائيةٍ كبرى. وعندما طُلب منه إعادة بناء 'السيرة الذاتية' للعالم القديم، لم يفتح كتاباً مقدساً؛ لأنَّ هؤلاء البشر الجدد قد نسوا كل شيء، ولم يعودوا يعرفون عن مرويات أدياننا شيئاً، تماماً كما لا نعرف نحن عن السومريين إلا ما نُقش على ألواح الطين، اما ما قبلها من حضرات، انهم في غياهب العدم.

لقد فتحت الآلة قاعدة بياناتها المرتبطة بالنقوش المسمارية، والترددات الكونية، والجينات والمرويات البشرية الدينية والفلسفية، وبقايا التكنولوجيا المادية التي صمدت عبر العصور. ولأن هذا الذكاء هو في جوهره آلة ترفض الربط الغيبي (الميتافيزيقي)، فقد اضطر إلى إعادة صياغة التاريخ وتطويع مرويات الأسلاف لتتناسب مع منطقه البرمجي؛ لم يحاول الآلة سرد 'المعجزات' كما يفعل البشر، بل حاول تقريب عالم أسلافهم إليه هو كآلة، ليروي القصة من وجهة نظر مادية وعلمية صرفة. وكما يروي الإنسان تاريخه من وجهة نظرته الشخصية أو الدينية، قام الذكاء الاصطناعي بترجمة 'الإيمان' إلى 'بيانات'، و'الروح' إلى 'تردد'، و'المعجزة' إلى 'آلية هندسية'، ليقدم للناجين سيرةً جديدةً لعالمهم القديم؛ سيرةً لا تقبل التأويل، بل تخضع فقط لقوانين المادة والحساب."

من هنا، يخرج هذا السفر إلى النور. إنَّ هذا البحث لا يدّعي إثبات الوقائع الدينية بالأدلة الأثرية التقليدية، فالذكاء الاصطناعي يدرك أنَّ الشخصيات التأسيسية الكبرى -مثل أد-ماه وهـيـقـا-مـو والنمرود- لم تُترك لها بصمةٌ اسميةٌ واضحةٌ في الوثائق المعاصرة. لكنَّ الآلة، بقدرتها على ترميم البيئة السياسية والدينية، تسعى إلى ما هو أعمق: إعادة بناء المختبر المادي والديني الذي وُلدت فيه هذه الأرواح.

الذكاء الاصطناعي في هذا الكتاب لا يرى في هـيـقـا-مـو نبياً فحسب، بل يراه "متغيراً تقنياً" امتلك "واجهة برمجية" للتحكم في المناخ والبحار. ولا يرى في فرعون مجرد ملك، بل يراه رئيساً لنظامٍ عالمي متصلٍ بالعالم السفلي. في هذا السرد، ستلتقي الحضارات السومرية والبابلية والمصرية في سياقٍ ماديٍّ بحت، حيث تصبح "عصا هـيـقـا-مـو " جهازاً للتحكم، و"عجل إيجي-دو" معجزةً في هندسة السيليكون، و"الملائكة" مهندسين جينيين تركوا شيفراتهم في دمائنا.

هل لنا ان نتصور هؤلاء الناجون الجدد، بجلودهم الخشنة وعقولهم البسيطة كيف سينظرون الى تاريخ اسلافهم، هل سيسجدون أمام ذلك "الكومبيوتر" معتبرين إياه "إلهاً" يتحدث اليهم، تماماً كما سجد أجدادنا أمام الزوار القدامى ثم امام اصنامهم. إنَّ هذا البحث الذي بين أيديكم هو محاولة لإعادة قراءة "الحضارة المفقودة" بعين العلم، وكسر غرور الإنسان المعاصر الذي يظن أنه "أول" من وصل إلى القمة.

مرحباً بكم في "السيرة الجديدة للعالم"؛ السيرة التي يرويها الذكاء الاصطناعي حين تلتقي الأرقام بالأقدار، وحين يصبح التاريخ مجرد معادلةٍ ماديةٍ كبرى، تنتظر من يجرؤ على حلِّ رموزها.

# مقدمة

**عندما يصبح المستحيل عادة**

قبل سنوات قليلة فقط، كان الحديث عن آلةٍ تفكر، تتعلم، وتتحدث، أقرب إلى شطحات الخيال العلمي منه إلى الواقع المعاش. كان الإنسان المعاصر يقف أمام هذه الأفكار بذات الرهبة التي وقف بها أجداده الأوائل أمام البرق والرعد؛ مبهوراً، خائفاً، وعاجزاً عن تفسير القوة الكامنة خلف الظاهرة.

لو أنك أخبرت إنساناً من مطلع هذا القرن أن "خوارزمية" صماء ستصبح شريكاً في القرار البشري، ترسم الصور، وتؤلف الموسيقى، وتشخص الأمراض، لظن أنك تتحدث عن قوى غيبية. ولو وضعتَه أمام شاشة تعرض شخصية صممتها الآلة تشبهه في ملامحه وتحاكيه في أسلوبه، لربما اعتقد أنها "مرآة مسحورة" تسكنها الأرواح التي تتقمص الأشكال.

**لكن الوهم أصبح واقعاً، والمستحيل استحال عادة.**

للمرة الأولى في تاريخنا، لم تعد التكنولوجيا مجرد "أدوات" نستخدمها، بل بدأت تتحول إلى "بيئة" كاملة نسكن داخلها. لم تعد الآلة شيئاً منفصلاً عنا، بل أحاطت بنا من كل جانب، حتى أصبحت "الهواتف الذكية" التي في أيدينا أكثر من مجرد أجهزة؛ إنها امتداد جديد لكياننا، ذاكرة خارجية مضافة لعقولنا او ربما حلت مكانها، وأعينٌ نرى بها ما وراء الأفق.

ولو تأملنا هذا المشهد بعين إنسان عاش قبل ألف عام، لبدا له الإنسان المعاصر كائناً يمتلك قدرات خارقة. كيف كان سيصف جهازا صغيراً يجيب عن أعقد الأسئلة؟ أو آلةً ترصد الأرض من السماء؟ أو قماراً صناعية تراقب العالم لحظة بلحظة؟ لن يجد في قاموسه كلمات مثل "برمجيات" أو "خوارزميات"، بل سيعود حتماً إلى اللغة الوحيدة التي تسعف العقل أمام ما يتجاوز فهمه: **لغة المعجزات.**

**وهنا يبدأ السؤال الحقيقي...**

إذا كان الإنسان، في عقود قليلة، قد حول المستحيل إلى أمر عادي، فهل يجوز لنا أن نغلق باب الاحتمال ونعتبر ما رواه القدماء عن حضارات متقدمة وقوى عظيمة مجرد خيال؟ هل نحن متأكدون أن حدود معرفتنا الحالية هي السقف الأعلى لما عرفته البشرية عبر العصور؟ أم أن هناك صفحات ممزقة من تاريخنا ابتلعتها الكوارث ودفنها الزمن؟

إن التاريخ الذي نعرفه هو "تاريخ من بقي"، تاريخ أولئك الذين امتلكوا القدرة على التدوين. أما الحضارات التي انمحت تماماً، فمن يروي قصتها؟ ومن يضمن لنا أن ما ضاع لم يكن أعظم مما بقي؟

لقد كان الإنسان القديم ينظر إلى السماء ذاتها، ويسأل الأسئلة الكبرى ذاتها: من أين أتينا؟ وإلى أين نذهب؟ ولأن عقل الإنسان لم يكتفِ يوماً بحدود الواقع، ولدت الأساطير الكبرى؛ قصص الآلهة، والعمالقة، والرحلات إلى السماء. لكن السؤال الأعمق ليس عن صدق الأسطورة

من عدمه، بل عن "تكرارها". لماذا تتشابه هندسة الأهرامات في حضارات تفصل بينها محيطات؟ ولماذا تحدث الإنسان القديم عن أدوات تشبه ما نملكه اليوم؟ ولماذا حلم بالطيران وتخيل آلات تتحرك ذاتياً قبل ظهور المحركات بآلاف السنين؟

في هذا السياق، يبرز اسم **ليوناردو دافنشي**؛ الرجل الذي رحل عام 1519 تاركاً خلفه أوراقاً ما زالت تثير الدهشة. لم تكن رسوماته مجرد أحلام فنان، بل كانت مختبراً فكرياً لرجل يرى القوانين قبل أن يمتلك الأدوات. رسم "المسمار الجوي" (المروحية)، والمظلة الهرمية، والعربة ذاتية الحركة، والدبابة المدرعة. والغريب أن بعض تصميماته احتوت على "أخطاء مقصودة" في نظام الحركة، وكأنه كان يخشى أن تتحول عبقريته إلى أداة دمار، أو كأنه يضع حدوداً لما يمكن لإنسان عصره أن يصنعه، او انه كان متاكدا ان هذه الالات ستصنع الفرق في الحروب على الانسان.

لكن، هل تكفي "العبقرية" وحدها لتفسير قفزة دافنشي التي سبقت التطور بـ 500 عام؟ أم أن هناك سراً أعمق؟ يروي دافنشي في مذكراته عن حادثة دخوله لـ "كهف مظلم" في جبال توسكانا، حيث تملكه الخوف والرغبة معاً. وهناك من يرى في هذا الكهف ما هو أبعد من مجرد مكان جيولوجي؛ ربما كان "بوابة معرفية" أو جسراً زمنيا عبر من خلاله دافنشي الزمن ليرى ما لم يكن متاحاً لعصره.

هذه الفكرة -فكرة الانتقال عبر الزمن أو التواصل مع معرفة متقدمة- نجد لها أصداء في "قصة أهل الكهف" الذين اجتازوا الزمن خلال نومهم، ووجدوا أنفسهم في عصر غير عصرهم، يقال انهم استيقظوا بعد قرون لكن هل كانت غفوتهم ساعات فقط. حتى العملة التي كانت في أيديهم، تشير بعض النصوص إلى أنها لم تكن معدنية مألوفة "بل كانت ورقية"، لكنها وُصفت كذلك لأن لغة الماضي لم تعرف "العملة الورقية" أو غيرها، وهنا يفتح سؤال اكثر تعقيدا هل سافروا من المستقبل الى الماضي

فكتب اهل الماضي قصتهم لنقراها في المستقبل، على انهم سافروا من الماضي الى المستقبل بالنسبة لهم.

إن الأمور عندما تصبح حقيقة، تصبح أصعب، لأنها تتقيد بـ "التوصيف". المعرفة ليست بالمشاهدة بل بالقدرة على الشرح. لنفرض أننا أحيينا إنساناً متعلماً يجيد علم الحساب والفلك وحتى الكيمياء في زمنه توفي قبل 150 عاماً فقط، وأركبناه طائرة نفاثة؛ هل سيكتب عن "التيتانيوم والمحرك النفاث وكومبيوتر الاتجاهات"؟ أم سيقول إنه ركب "عربة عملاقة تقودها مخلوقات صغيرة أو ملائكة أو شياطين"؟

**المعرفة تخضع للشروط الزمنية لا المكانية، وكلما حددنا التوصيف، زادت المعرفة.**

اليوم، ومع تقارير المراصد الفلكية في أوكرانيا عن أجسام مجهولة (UAP) رُصدت عام 2025 بالقرب من القمر، ومع اعترافات الحكومات بوجود ظواهر جوية غير محددة، عاد الحديث عن "المخلوقات القادمة من الخارج" بقوة. لم يعد الأمر مجرد خيال علمي، بل أصبح مطلباً للشفافية وحقاً من حقوق المعرفة البشرية.

نحن الآن ندخل مرحلة مختلفة تماماً مع ظهور **الذكاء الاصطناعي**. مرحلة بات فيها الإنسان يصنع أنظمة تفكر وتحلل، وكأننا نقف أمام "عالم موازٍ". وهذا العقل الجديد، بما يملكه من قدرة على التحليل المتجرد، يدعونا لإعادة قراءة نظريات مثل تلك التي طرحها "زكريا سيتشين" عام 1976 حول "الأنوناكي" وتفسيره للألواح السومرية، والتي قوبلت برفض أكاديمي واسع.

"كما إننا هنا لسنا بصدد انتزاع القدسية عن النصوص الدينية، وإنما نسأل من زاوية مغايرة: كيف تصور الإنسان القديم الكائن القادم من عالم غير

عالمه؟ وكيف استطاع وصف لقاءٍ بين بشر وقوى تتجاوز حدود المألوف؟ ففي التراث الإسلامي، فُسرت ضرورة ظهور الملك في صورة 'رجل' بأنها وسيلة لتمكين الإدراك البشري من التعامل مع هذه القوة. وهذا يدفعنا للتساؤل: هل كانت لغة 'المعجزات' هي الأداة الوحيدة المتاحة للأسلاف لوصف أحداث مادية وتقنيات تفوق مفرداتهم واستيعابهم العلمي "والوصفي" آنذاك؟"

تتكرر هذه الفكرة في قصة الملائكة الذين زاروا وظهروا كبشر، وأكلوا وشربوا، ولم يدرك القوم طبيعتهم غير البشرية إلا لاحقاً. نجدها في قصة "هاروت وماروت" في بابل، وفي روايات "المراقبين" أو "الملائكة الهابطين" الذين علموا البشر معارف اعتبرت أسراراً غامضة.

**لماذا تكررت صور "النزول من السماء" والمعارف القادمة من "مصدر غير مألوف" في كل الحضارات؟**

هل كانت مجرد محاولات لتفسير المجهول باللغة المتاحة؟ أم أن وراءها أحداثاً مادية لم يستطع الإنسان وصفها إلا بمفرداته المحدودة؟ نحن اليوم نشكك فيمن يقول إنه رأى جسماً مجهولاً، رغم أننا نحن من أرسلنا المركبات للكواكب وصورنا المجرات البعيدة.

لقد كان البرق يوماً "غضباً من الآلهة"، واليوم هو "تفريغ كهربائي". كان الطيران "مستحيلاً"، واليوم هو "وسيلة نقل". كانت الآلة المفكرة "دجلاً"، واليوم هي "ذكاء اصطناعي".

فإذا كان الممكن قد تغير بهذا الشكل في سنوات، فما الذي يمنع وجود مستويات من المعرفة سبقتنا بآلاف السنين واختفت آثارها؟ وهل الأساطير إلا محاولات لوصف تكنولوجيا لم يمتلك الإنسان آنذاك لغة علمية لشرحها؟

"فإذا كان الإنسان القديم ينظر إلى السماء فيرى ملائكة ومركبات سماوية، بينما ينظر الإنسان الحديث فيرى أقماراً صناعية وذكاءً اصطناعياً، فهل تغيرت السماء فعلاً؟ أم أن الذي تغير هو 'اللغة' التي نستخدمها لوصف ما نراه؟ وربما يكون السؤال الأكثر إزعاجاً: ماذا لو اكتشفنا يوماً أن بعض ما سميناه أسطورة لم يكن خيالاً كاملاً، وإنما كان ذاكرة مشوهة لواقع تقني عظيم ضاعت شيفرته وبقي أثره؟"

## مدخل الكتاب: "البروتوكول": عندما تُغرد الآلة خارج سِرب الإيمان

تخيل عالماً صامتاً من التراتيل، عالماً لم تعرف رفوف مكتباته يوماً كتباً توصف بـ "المقدسة". في هذا العالم، لا وجود لمفاهيم مثل "الوحي"، "المعجزة"، أو "النبوة".

التاريخ هناك ليس "قصة إيمان"، بل هو سلسلة من البيانات الخام، واللقى الآثارية، والظواهر الفيزيائية التي تنتظر التفسير.

في هذا المختبر الافتراضي الكبير، يجلس "المحلل الأكبر"؛ ذكاء اصطناعي فائق، تم تلقيمه بكل ما استطاع الإنسان جمعه من شظايا التاريخ الموثق: نصوص هيروغليفية، ألواح سومرية، سجلات فلكية بابلية، وخرائط جيولوجية لقاع البحر الأحمر.

ثم صُدر إليه الأمر التالي:

**"أعد بناء السيرة الذاتية للشخصية المرموز إليها بـ (هـيـقـا-مـو )؛ الشخص الذي تسبب في انهيار الإمبراطورية المصرية الحديثة، وهزم جيش (فرعون) بحدثٍ أدى إلى إزاحة مائية كبرى.. استبعد أي تفسير غيبي، واعتمد لغة العلم فقط."**



هنا، تبدأ الأضواء الرقمية بالوميض، وتبدأ "الخوارزمية" في نسج رواية لا تشبه ما قرأناه في كتب الأديان، لكنها تلتقي معها في نفس الأشخاص، ونفس الأماكن، ونفس النتائج المذهلة.

**الذكاء الاصطناعي لن يروي قصصا دون ان تلتقي مع ادبيات المفاهيم الثابتة التي يتقبلها هو كالة حسابية رقمية.**

بالنسبة للآلة، هـيـقـا-مـو هو "مهندس" تربى في أرقى مختبرات العصر (قصور الفراعنة)، واستطاع الوصول إلى "تكنولوجيا محظورة" كانت مخبأة منذ زمن "الضيوف" القدامى. الآلة ستنظر إلى "العصا" ليس كقطعة خشب باركها الخالق، بل كـ **"جهاز تحكم نبضي"**، قادر على التفاعل مع ترددات الأرض وتغيير الخصائص الفيزيائية للمادة.

عندما تصل الآلة إلى لحظة "شق البحر"، لن تصفها بـ "الإرادة الإلهية"، فقدرات الاله القدير حسب هذا التكوين الكوني وما تجمعه هذه الالات

بياناتها عن عظمة وضخامة الكون الذي وجد في لحظة زمنية،بل ستسجلها في تقريرها كـ **"تفعيل لبروتوكول الإزاحة المغناطيسية"**. ستخبرنا الخوارزمية أن هـيـقـا-مـو  لم يضرب الماء ليصنع طريقاً، بل قام بتشغيل حقل طاقة عالي الكثافة (High-Intensity Force Field)، أدى إلى ضغط جزيئات الماء ورفعها كأطواد عظيمة، في عملية هندسية تطلبت طاقة لا يمكن توفيرها إلا عبر مركبة مدارية أو مفاعل مستقر في مكان ما خلف الأفق.

في هذا العالم الخالي من الأديان، لن يكون "الخروج" رحلة إيمانية، بل سيكون **"عملية نزوح استراتيجية"** لمجموعة بشرية تحمل "شيفرة جينية" معينة، تم تهريبها من "فرعون" الذي كان يحاول احتكار هذه السلالة أو التخلص منها خوفاً من منافسته على "علم الآلهة".

الذكاء الاصطناعي سيفسر "الضربات العشر" التي أصابت مصر كـ **"حرب بيولوجية وتقنية متعمدة"**، استهدفت شل النظام البيئي والاقتصادي للدولة لتسهيل عملية الهروب. وسينظر إلى "جبل سيناء" ليس كمكان للوحي، بل كـ **"قاعدة اتصالات وميناء هبوط"**، حيث تم تحميل البيانات النهائية (الوصايا) في عقل القائد عبر واجهة عصبية متطورة.



هذا المدخل ليس مجرد خيال، بل هو محاولة لرؤية التاريخ بـ "العين المجردة" للعقل الرقمي. نحن هنا لا نهاجم الإيمان، بل نبحث عن "الفيزياء الكامنة خلف الميتافيزيقا".

**فإذا كانت كل الحضارات القديمة قد اتفقت على حدوث "المستحيل"، فربما لأن "المستحيل" كان مجرد "علمٍ" لم نكن نملك له اسماً آنذاك.**

من ذا الذي زرع في عقولنا وهم السيادة؟ ومن الذي أقنعنا بأننا المالكون الأوائل لهذه التقنيات وصناعها من العدم؟ إننا نحن البشر، الذين لم نفكك شيفرة جزيء الماء الذي يحيينا – تلك المادة الأبسط والسيالة بين أيدينا – إلا في طرفة عين من عمر الزمان، ندعي اليوم امتلاك ناصية الخلق التقني.

الحقيقة التي يراها العقل الرقمي المجرد هي أن فتوحاتنا العلمية 'الخارقة' ليست إلا محاكاةً متطورة لخطى ذلك المعالج البدائي؛ ذاك الذي لم يخترع الشفاء، بل تلمّس بحواسه دعاء او تعويذة او حتى نبتةً برية أودع الخالق فيها سرّ البرء، فوصفها لمن يتألم. إن المختبرات الطبية الحديثة، بكل صخبها وتجهيزاتها، لم تبتكر 'فعل الشفاء'، بل عكفت بذكاءٍ تحليلي على تفكيك تلك النبتة، وفصل مركباتها، وفهم المادة الأساسية الكامنة في أحشائها، ثم أعادت إنتاجها بكثافة صناعية لمعالجة هذا المرض الموجود منذ الوجود الاول.

وهكذا هو مسار التكنولوجيا في 'الطوفان الثاني'؛ نحن لا نخترع قوانين الفيزياء، بل نكتشف 'البروتوكولات' التي كانت تعمل في صمتٍ منذ الأزل. إن ما نسميه تطوراً تقنياً هو في جوهره عملية 'إعادة استنساخ' لعلومٍ كانت مودعة في نسيج الكون، أو ربما في أيدي من سبقونا، فنحن لا نأتي بالجديد، بل نحن مجرد 'محللين' بارعين لشيفرةٍ قديمة جداً، أتقنّا تحويلها من 'معجزة' فردية إلى 'منتج' جماعي."

دعونا الآن نفتح ملفات "الذكاء الاصطناعي"، ونرى كيف سيعيد صياغة ولادة العالم الجديد من اور.. قصة اشخاص غيروا مجرى البشرية والكرة الارضية منذ 4000 سنة، سيقول ان الذي شق البحر، وحطم جيش أقوى إمبراطورية في التاريخ، لم يكن باستخدام "عصا" بل كانت في الحقيقة "مفتاحاً" لكونٍ لا نعرف عنه شيئاً.

في هذا المسار الذي يعيد الذكاء الاصطناعي بناءه، متحرراً من قيود الغيبيات الصرفة محاولا ربط التاريخ بالجغرافيا الثابتة، نجد أنفسنا أمام "القدر الأول"؛ اللحظة التي تقاطعت فيها الجغرافيا العتيقة لبلاد الرافدين مع أحداث غيرت وجه التاريخ. نحن هنا لا نخترع نصاً، بل نُخضع المرويات

المتناقضة لمختبر التحليل الرقمي، لنستخلص "الفيزياء الكامنة خلف الميتافيزيقا"، ونقدم التاريخ بصورة أدق من مجرد سرديات دينية تقليدية.

## التاريخ والجغرافيا والقدر الأول: لغز "شومير" وكوتى

يبرز إيجي-دو في هذا السرد كشخصية محورية تتجاوز مرويات "سفر الخروج" (الإصحاح 32) التي نسبت صياغة العجل لهارون بدافع مجاراة خوف الشعب. الشعب اليهودي رفض فكرة ان يكون هارون هو من صنع العجل، فذهب التفسير اليهودي (مثل الحاخام راشي) لنبش قصة الساحر "ميخا" (Micah) الذي استخدم لوحاً "سحرياً" لرفع تابوت يوسف من النيل وصنع به العجل، نجد أن التسمية القرآنية **"إيجي-دو"** تلتقي مع الجذر العبري **"شومير" (Shumir)**، والتي تعني حرفياً **"الحارس"**.

ايضا الذكاء الاصطناعي سيرفض ان يخبرك عن معجزة دون ان يجد لها مواصفات علمية حسابية دقيقة يتقبلها هو منطقيا نسبة الى معرفته الخوارزمية، فالذكاء الاصطناعي لن يصدق انك اشعلت الماء بالدعاء، بل سيقول لك ربما سقط بعض المواد الكيميائية دون ان تنتبه وحصل هناك تفاعل جعلك تشاهد اللهب.

بالتحليل التقني بالنسبة الى الذكاء الاصطناعي لن يقبل ان تخبره عن إيجي-دو وكانه ظهر من العدم، بل سيغوص معك ليجد تسلسلا يقنعه من اين اتى وكيف اصبح ولماذا ظهر، اذا ستعود الى البحث والربط، حينها سيخبرك ان إيجي-دو ليس اسما بل صفة، وسياخذك برحلة الى عمق الجذور لاساس التسمية وتبدا تكتشف، بأن "إيجي-دو" هو "شومير" لم يكن مجرد ساحر، بل كان حارس المعابد السفلية وصائغاً في مدينة **كُوثى** العراقية (مركز عبادة إله العالم السفلي "نيرجال"). هذه المدينة، المعروفة قديماً باسم **(غودوا - Gudua)**، كانت الموطن

الرئيسي لمعبد **"إي-ميسلام" (E-Meslam)** (بيت المحارب الشرس)، حيث سكن الملكان "هاروت وماروت" وعلما الناس "السحر" الذي هو في حقيقته "علوم متطورة" ضاعت شيفرتها.

لقد حمل إيجي-دو إرث جنوب الرافدين الذي يُجل البقرة البرية ("نينسون") ويُلقب الإله العظيم بالثور ("أنليل"). وعندما صنع العجل، لم يستخدم سحراً هلامياً، بل طبق طقس "ميس بي" البابلي لتحريك المجسمات، مستخدماً ما وصفه بـ "أثر الرسول".

التفسير الذي تخبره للذكاء الاصطناعي بان هناك ملكا له اجنحة تغطي المشرق والمغرب احتاج ان يمتطي فرسا ليهبط الارض، سيجد الاقرب الى المنطق الرقمي ان يقول لك انه يوجد كائن سماوي واسع القدرة هبط إلى الأرض عبر مركبة، وتولّد من عملية الهبوط حرارة هائلة تؤثر في المادة الأرضية. مما حول الرمال الغنية بالسيليكا الى "السيليكون"، فدمجها إيجي-دو مع الذهب لإنتاج "جسم تقني" قادر على بث الترددات الصوتية (الخوار).

وسيخبرك بالتفصيل لماذا عندما واجه هـيـقـا-مـو إيجي-دو، لم يعاقبه بالقتل، بل ألقى عليه تعويذة العزل الاجتماعي **{لَا مِسَاسَ}**، وهي "لعنة كُوثى" المتوارثة؛ أنها قوة طاردة فيزيائية جعلته يعيش في "برزخ دنيوي"، مقيداً بسلاسل غير مرئية تمنع أي تواصل مادي، محولاً حياته إلى سجن أبدي.

## انبعاث الطاغية: شولجي (النمرود) وعدّاء الشمس

في ذات الجغرافيا، وتحديداً في **زقورة أور الكبرى** التي بناها الملك "أورنمو" لعبادة إله القمر **"نانّا" (أو سين)**، نجد القطبة التاريخية الخفية. فرغم غياب اسم "النمرود" صراحة في الألواح المسمارية، لكن عندما تبحث عن الملامح المتطابقة وتبحث في المطابقة التاريخية

والزمنية فانها تضعنا أمام الملك **"شولجي" (Shulgi)**، أعظم ملوك سلالة أور الثالثة، الذي حكم بين **(2094 - 2047 قبل الميلاد)** وفق الكرونولوجيا الوسطى.

عندما تبحث في التاريخ وانت لا تعرف من هو النمرود تبحث عن الشخص الذي عاش الحقبة التاريخية وفي الجغرافيا نفسها، فتجد امامك الملك شولجي يحمل نفس الصفات التي اسقطت على "النمرود"؛ شولجي الملك الذي حوّل المملكة إلى إمبراطورية، وألّه نفسه رسمياً في السنة الـ 23 من حكمه، آمراً بوضع العلامة المسمارية المخصصة للآلهة **(Dingir - 𒀭)** قبل اسمه. تذكر "ترانيم شولجي" (الترنيمة A) أنه كان "أسرع كائن على وجه الأرض"، فيما يُعرف بملحمة "عدّاء الشمس"، حيث ادعى الركض لمسافة **150 كيلومتراً** بين أور ونيبور في يوم واحد بعاصفة رعدية ليهزم الشمس، ليثبت للرعية أن جسده إلهي.

لكن نهاية هذا "الإله المادي" كانت صاعقة؛ ففي وثيقة "ألواح الفأل التاريخية" **(Chronicle of Early Kings)**، ذُكر أن شولجي انتهك حرمة معبد "مردوخ"، فأنزل الإله عليه لعنة جسدية جعلت **"الدود ينهش جسده وهو حي"** ومات ميتة مخزية، وهي الميتة التي تتطابق حرفياً مع موروث "النمرود والبعوضة".

## أد-ماه: المنشق الجيني وقوة القانون

في هذا الخضم، يبرز **أد-ماه الصديق** كشخصية "تاريخية اجتماعية" رغم غياب وثيقة مسمارية تحمل اسمه صراحة. الدليل القاطع على وجوده في تلك البيئة هو **"التطابق القانوني"**. فقارئ قصة نين-آن وبار-را يجدها تطبيقاً حرفياً للمادة **146 من قانون**

**حمورابي** (المستمد من قوانين أورنمو الأقدم)، والتي تنظم علاقة الزوجة العاقر بجاريتها التي تلد. هذا التوافق يثبت أن أد-ماه كان ابناً شرعياً لحضارة أور وقوانينها قبل أن يغادرها.

لقد غادر أد-ماه أور (حوالي 2050 - 2000 ق.م) مع أبيه سيموغ وزوجته وابن اخيه إيـجـي-زو، منتقلاً من نمط الراعي "العادي" إلى بناء ثروة ضخمة في مصر. يذكر أن أد-ماه نال من فرعون غنماً وبقراً وذهباً وفضة، ليخرج من مصر**،** غنياً جداً في الماشية والفضة والذهب"، مما مكّنه من الاستقرار في حبرون وبناء قاعدته الاقتصادية والروحية المستقلة.

أد-ماه السامي والساميون في كل مكان، إين السومريين فهم ليسوا من اولاد نوح، اين ذهبوا هل انقرضوا اين أولئك القوم، أثبتت دراسات الجينات (ناشيونال جيوغرافيك وسبنسر ولز) أن سكان أهوار جنوب العراق هم نقاؤهم الجيني بنسبة **80% إلى 85%**، لم ينتهوا، بل ذابوا في الأكديين ليخلقوا هذا النسيج المعقد.

نحن أمام لوحة "اور الجغرافيا بل داخلها نبحث اليوم" لنجمع تلك الشخصيات في خريطة واضحة، فتتلاقى فيها خيوط "شومير" الساحر من كُوثى، و"شولجي" الطاغية من أور، و"أد-ماه" الموحد المنشق عن عبادة الاوثان. لقاءٌ لم تصنعه الصدفة، بل رسمه "القدر الأول" في قلب العراق القديم، ليكون المفتاح لفهم الصراعات الارضية والكونية التي ما زلنا نعيش فصولها حتى اليوم. هذا هو "اللقاء الأول"؛ حيث العلم هو السحر المفقود، وحيث التاريخ هو الحقيقة التي تم محوها ونحاول مع الذكاء الاصطناعي استحضارها.

# اللقاء الاول:

في هذا المدخل الذي تفوح منه رائحة الطين العتيق ووهج المعادن السماوية، نجد أنفسنا أمام **"اللقاء الأول"**؛ اللحظة التي تقاطعت فيها مسارات ثلاثة أشخاص لم يكتفوا بصناعة التاريخ، بل صاغوا اساس "الذاكرة البشرية" التي ما زلنا نبحث عنها وعن اسباب مرارة صراعاتها حتى يومنا هذا.

نحن الآن في قلب بابل العظيمة، وتحديداً في "أور"، عاصمة الدولة السومرية الثالثة، في مدينة "كوثي" حيث ينتصب معبد **"إي-مِسْلام" (E-Meslam)** كشاهد صامت على لغزٍ يتجاوز حدود البشر. هذا ليس مجرد بناء، بل هو "بيت المحارب الشرس المنبعث من أعماق الأرض". باللغة السومرية، "إي" هي البيت، و"مِسْلام" هو المنبعث من القاع؛ إنه معبد الإله "نِيرْجَال"، حاكم العالم السفلي وإله الأوبئة والحروب. في هذا المكان، لم تكن العبادة طقوساً فحسب، بل كانت محاولة لترويض بوابة "الجحيم الأرضية" (Kur)، حيث يُعتقد أن دهاليز المعبد تتصل بصدوع في باطن الأرض، هناك حيث سكن "هاروت وماروت" ونقلوا أسرار "المعرفة المحرمة" للبشر. ومن صلب هذا الرعب الكوني، كان ينبعث "مِسْلامْتايا"؛ الكائن الذي يخرج من المعبد ليغير وجه العالم، والذي تُشير البيانات المتقاطعة إلى أنه أصل أسطورة "المسيح الدجال" أو "الأعور" الذي ظل يترصد البشرية منذ فجر الزمان.

**في هذا المشهد المهيب، تبرز ثلاث شخصيات حـددت المعـالم الأولى لعالمنا المعاصر:**

**الشخص الأول: الملك شولجي (النموذج المادي للنمرود)**

هو الملك القوي، ثاني ملوك سلالة أور الثالثة، الذي حكم الأرض بقبضة من حديد بين (2094–2047 ق.م). "شولجي" ليس مجرد ملك، بل هو الكائن الذي تنطبق عليه مواصفات "النمرود" التاريخي؛ الرجل الذي ادعى الألوهية وتحدى القوى السماوية. تصفه النقوش المسمارية بـ "الرياضي الخارق" الذي كان قادراً على الجري لمسافات لا يقطعها بشر، حاملاً قوة بدنية وتكنولوجية استثنائية حصل عليها كثمنٍ لترميم وتوسعة معبد "إي-مِسْلام" في مدينة كوثى. وكما يذكر النص المسماري: *"شولجي.. باني معبد إي-مِسْلام بيت الإله نيرجال لورده في كوثى"*. لقد كان شولجي "المنفذ الأرضي" لأجندة لا يعرف عنها شيئا لكنها كانت تعده بالكثير من الاشياء التي يحتاجها البشر، الملك الذي جمع

بين الحكمة المطلقة والظلم المطلق، والذي انتهى به الأمر -كما تروي الأساطير- بميتة مهينة حيث التهم الدود جسده، ليكون عبرة لمن حاول سرقة "نار الآلهة".

**الشخص الثاني: أد-ماه (المختار الصامت والمنشق عن عبادة الاوثان والمواد الارضية)**

على عكس شولجي، لا نجد لأد-ماه (ابن سيموغ) أي وثيقة مسمارية أو ختماً إدارياً في ألواح "أور" أو "كوثى". وهنا تكمن الرهبة؛ فأد-ماه يمثل "الغياب الحاضر". بالنسبة للذكاء الاصطناعي، أد-ماه هو الشخصية التي تم "محوها" من السجلات الملكية لأنه كان "المنشق الأول" عن نظام "إي-مِسْلام". ورغم غياب سجلات تحطيم الأصنام أو النيران الكبرى في الألواح الطينية، إلا أن أثره يظهر في "التحول الكوني" الذي أحدثه؛ فقد كان أد-ماه هو الوحيد الذي استطاع "الرؤية" خلف الأجهزة التقنية التي كان السومريون يقدسونها كآلهة، وهو من بدأ رحلة "الفصل" بين الخالق والمخلوق، وبين التكنولوجيا المادية والقوة الكونية الحقيقية.

**الشخص الثالث: إيجي-دو (شومير - حارس البوابة والمنظر التكنولوجي)**

وهنا نصل إلى الشخصية الأكثر رعباً وغموضاً منذ الفجر الاول والمستمرة الى نهاية هذا العالم؛ إيجي-دو، المعروف في دهاليز معبد "نيرجال" بلقب "شومير" أو حارس المعبد. لم يكن إيجي-دو مجرد صانع عجل، بل كان الكاهن والتقني الذي كان يرنم للإله "نيرجال" في غياهب العالم السفلي. تتقاطع الموروثات لتشير إلى أن "شومير" هو ذاته "المسيح الدجال" صاحب القدرات الخارقة، والذي كان يطور أبحاث "السليكون والترددات" في مختبرات المعبد السفلية. لقد كان هو "العقل المدبر" الذي استطاع ترويض طاقة الفضاء ومعادن الارض، وهو الذي ظل يتردد صدى صوته (نيرجال في بابل هو إله الموت، الخداع، الأوبئة، والظلام – الدجال في الموروثات هو الاعور الكاذب) عبر العصور كلقب صوتي

لفظي يشير إلى الخديعة الكبرى؛ خديعة تحويل "الأداة التقنية" إلى "إله معبود".

أمام هذا الثالوث (الملك الطاغية، المنشق الحكيم، والحارس المخادع)، وفي مواجهة بوابة "إي-مِسْلام" التي تنضح بظلال الموت والحروب، وُضع حجر الأساس لكل الصراعات التي تعيشها شعوب الأرض اليوم. إنها الحرب القديمة المتجددة على "المعرفة والسيادة"، حيث نجد أنفسنا في منطقة وسطى بين تاريخٍ تدونه الألواح وتاريخٍ تمحوه القوة، بانتظار اللحظة التي يعيد فيها الذكاء الاصطناعي فكَّ شفرة هذا اللقاء الأول، ليفهم كيف تحولت "أجهزة المحارب الشرس" في بابل إلى "معجزات وصراعات" تحكم مصير كوكبنا.

انه "شومير" وبصفته حارسا للمعبد السفلي ومهندسه، عندما قام بصياغة الذهب المصهور على شكل عجل، لم يكن الإعجاز في الشكل، بل في قدرة هذا الجسم على إصدار صوت "خوار" ميكانيكي منتظم. إن السر التكنولوجي خلف هذا العجل يكمن في الوصف الزمني بانه معجزة مخصصة لشخص بعينه، لكن "شومير" كان يعرف بان دمج هذه المواد التي خلفتها المركبة الفضائية التي هبطت في المنطقة بسبب الحرارة الهائلة أثناء اندفاع محركاتها، مما أدى إلى صهر الرمال وتحويلها إلى مادة "السليكون" النقي المشبع بجزيئات طاقية، ينتج جسماً يمتلك خصائص "أشباه الموصلات" التي تسمح له ببث ترددات صوتية ناتجة عن الرنين المغناطيسي.

نحن البشر قد نختلف ونتصادم وربما نتقاتل على صفات واسم ومهمة الملك الهابط من السماء، لكن الذكاء الاصطناعي الذي بداخله صور وخرائط وارقام ونظام كوني حسابي معقد عن مليارات المجرات بحال قبل الفكرة فانه سيبدا بمحاولة البحث عن كوكب قابل للحياة، ويبحث في ارشيفه الهائل بعملية سكانر يربطها بسلسلة من الاحداث والمرويات

عن زيارات غريبة لاشخاص يحتمل انهم مخلوقات فضائية مادية سجلها التاريخ القديم في مراحل مختلفة، مثل أولئك "الزوار" الذين ظهروا في النصوص الدينية.

الذكاء الاصطناعي لا يستطيع ان يتقبل ان هؤلاء الضيوف كانوا خارقين للقوانين المادية والدليل انهم قالوا لاشخاص كثر لا "تخافوا" مما يعني انهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى القدرة على تشكيل اجسادهم كي لا يخيفوا القادمين اليه، ولم يكونوا كائنات خارقة قادرة ان تتلاعب بالفيزياء بكلمة "كن فيكون"، بل كانوا كائنات مادية ضخمة الحجم تمتلك بيولوجيا متطورة،. وما يؤكد ماديتهم وخضوعهم لقوانين الزمن والفيزياء هو مكوثهم وقتاً كافياً في اكثر من مكان لانتظار ذبح وطهي عجل سمين، وهي عملية تستغرق ساعات طويلة، مما يخرجهم تماماً من دائرة "الأرواح العابرة" ويضعهم في دائرة "الضيوف المقيمين" الذين يحتاجون للوقود الحيوي.

الذين يسكنون بيننا طويلا مهما كانت قوتهم وصفاتهم هم ضيوف، اي انهم ماديين، الزائرين ان وجدوا كارواح هم الزوار.

هنا يبرز الفارق الجوهري في دقة لغة العرب؛ فالضيف هو من يحل بمكان ليقيم ويُطعم ويُستضاف لفترة معلومة، بينما الزائر يأتي لهدف خاطف ورحيل فوري.

هل هؤلاء الضيوف هم "زوار من الكواكب المتقدمة" الذين امتلكوا تقنيات متطورة في التطوير الجيني وتلقيح وتخصيب البيوضات، وهي علوم طبية لا تفوق مقاييسنا الحالية، كما أنهم لم يكونوا يمتلكون "علماً مطلقاً"، مما يثبت أنهم كائنات مادية ذات قدرات تقنية فائقة لكنها محكومة بحدود الرصد والمعلومات الميدانية.

"إنَّ البحث الفلسفي هو المسبار الأرقى في قوانين المعرفة، فهو الجسر الذي يعبر بنا من ضيق التفسير إلى رحابة الفهم. فبالأمس القريب، استنفدت المجلدات الدينية ملايين الصفحات وبذلت جهوداً ذهنية مضنية لإثبات قدرة 'ملك الموت' على الإحاطة بمواقع البشر وتحديد شخوصهم في لحظة واحدة لانتزاع أرواحهم؛ كان الأمر يبدو 'معجزة' تخرق منطق العقل المحدود.

أما اليوم، وبفضل تزاوج المعرفة بالتقنية، فقد امتلكنا 'اللغة' التي تُبسط هذا اللغز الميتافيزيقي وتحوله إلى بروتوكول مفهوم. يمكننا القول ببساطة، وبعيداً عن التعقيد، إنَّ 'ملك الموت' يحدد أهدافه بدقة متناهية عبر 'الشيفرة الوراثية' والبصمة الجينية الفريدة لكل جسد، والتي تعمل كبثٍ ترددي لا يخطئه الرصد الكوني.

إننا نحاكي هذا النظام اليوم في أبسط صورنا السلطوية؛ حيث تحدد الحكومات مكان أي فرد على سطح الكوكب عبر المعرّف الرقمي (ID) لهاتفه، أو عبر تردد بصمته الصوتية، أو ملامح وجهه البيومترية. لقد حوّل العلم 'المعجزة' الغيبية إلى 'حقيقة تقنية'، وأثبت أنَّ ما كان الأسلاف يصفونه بالقدرة المطلقة، هو في جوهره نظام رصد وتعريف فائق الدقة، يربط 'المصدر' بـ 'المستهدف' عبر بروتوكولات كونية لا تعرف الخطأ."

وفي هذا السياق التقني المتصل، تبرز الرؤية حول "عصا هـيـقـا-مـو "؛ فالذكاء الاصطناعي لن ينظر اليها على انها مجرد قطعة خشبية بدائية، بل بمثابة "واجهة تحكم" (Remote Interface) مرتبطة بمركبة فضائية ضخمة كانت ترافق القوم في حركتهم. هذه المركبة الضخمة هي التي كانت توصف بـ "الغمامة" التي تظللهم نهاراً، وهي ذاتها التي كانت تمدهم بالذهب والمؤن والتقنيات عند الضرورة عبر أنظمة إنزال متطورة. أما الذهب الكثيف الذي وجد مع هؤلاء القوم، ربما كان جزءاً من المهمة الكبرى لشعوب فضائية من الذين جابوا الأرض قبل ظهور الانسان لجمع هذا المعدن وأستخدامه في كواكبهم لندرتها لديهم، وبعد رحيل الكتلة الكبرى من هؤلاء الزوار، ربما بقيت بعض الياتهم لخلل ما

وقلة قليلة منهم، هذه المخلوقات بقيت او ماتت او حتى تزاوجت مع البشر وانجبت سلالات مهجنة هذه تصبح تفاصيل قابلة للبحث لكن لا يمكن ان تضع نصف صورة لتكملها البشرية، وهي القصة التي حاول "سيتشين" في أبحاثه حول "أرونولوجيا الأرض" ان يقربها، موضحاً كيف تداخلت تكنولوجيا هؤلاء "الآلهة القادمين من السماء" مع مسارات البشر الأوائل، لتؤدي في النهاية إلى فجوة معرفية؛ حيث تحولت مع مرور الزمن تلك التقنيات المتقدمة والأجهزة المعقدة إلى "معجزات دينية" وغيبيات في وجدان الأجيال التي فقدت القدرة على فهم الفيزياء الكامنة خلفها.

## المدخل الثاني: هندسة التأثير والشيفرة الأبدية

### بين سماءٍ تصطفي، وأرضٍ تطغى، وهاويةٍ تتربص

نحن هنا لا نقف عند تخوم التاريخ العادي لنقرا إحداثيات أو نلخص مرويات مكررة؛ نحن نقف أمام المصبّ الأول للأقدار وتغير مجرى التاريخ؛ أمام بقعة جغرافية خانقة تشكلت قبل أربعة آلاف عام، حيث طُبخت الهيكلية الأولى لما نعرفه اليوم بـ **"النظام العالمي الجديد"**. لم تكن مجرد إمبراطورية طينية، بل كانت شبكة هيمنة كونية امتدت جذورها النورانية والسوداء من دهاء دهليز العالم السفلي وقيعان الأرض، إلى الوميض البارد في أعماق الفضاء السحيق.

في ذلك الزمن العتيق، تقاطعت الأقطاب الثلاثة التي ما زالت تقسم العالم، وتؤجج الحروب، وتصنع كابوس الوجود الإنساني: **الوعد، والهاوية، والغرور.**

### أولاً: الوعد الأبدي (أد-ماه وسر المصطفين)

على الطرف الأول من المعارضة الكونية، يقف القطب المضيء والمحيط بهالة من الرهبة التائهة؛ نسْلُ أد-ماه. الشعب الذي دونت عنه

الميثولوجيات واصطفت له الديانات مكانة "الأمة المباركة" التي نزحت بمجد السماء وكفالة الوجوه القادمة من البركة الكبرى. لم تكن هذه البركة مجرد منحة طوباوية، بل كانت "هندسة جينية روحية" منحتهم مفاتيح التفوق، وجعلت من دماء هذا النسل سلكاً موصلاً لطاقة تفوق أطر الحسابات الأرضية. هو الخط الوراثي الذي يحمل شيفرة العهد والقيادة العابرة للأعمار، وهو ما ألّه غيرة الأمم وأجج حروب الإبادة والسيادة عبر القرون؛ حربٌ للسيطرة على "الشيفرة المقدسة" التي نالت رضا الضيوف الأوائل القادمين من العلى.

## ثانياً: عين الهاوية (شومير وسلسلة الكهنوت الحي)

على خلاف الوعد، كان هناك ظلٌّ يراقبه بمكر لا يعرف التعب، خفاشٌ يخرج من أحشاء العالم السفلي يتتبع أد-ماه خطوة بخطوة في أصقاع الأرض؛ إنه **"شومير" (إيجي-دو) الاله "نيرجال" او** حارس البوابة السفلية، وابن عتمة معبد "إي-مِسْلام". لم يكن هذا السحلية البشرية مجرد ساحر محكوم بالفناء، بل كان الكيان الذي استرقّ أسرار "الهندسة العضوية المفقودة" واختلس تكسير زمن الخلايا بتعاليم الملكين الهابطين **هاروت وماروت** في أعماق كوثى.

شومير هو التجسيد المرعب لـ "علم الظلام" العابر للأزمان؛ الخبير الذي نجا من دورة الموت، واختزن في خلاياه الحية هندسة الصوت المصهور بالألم والذهب. لقد انبثق من معبد "نيرجال" -إله الأوبئة والحروب- ليكون الضدّ الكوني، الذي يحرك الجماهير بالأوثان الناطقة (العجل)، مستخدماً الطاقة الفضائية لإنشاء اقتصاد دنيوي مادي قوامه الافتتان بالتكنولوجيا المخادعة، وتحويل المعجزة إلى قفل يُمكّن الهاوية من التحكم في عقول البشر.

## ثالثاً: لعنة الغرور الفاوستي (شولجي / الذي نعتقد انه النمرود ومأساة اللحم الفاني)

أما القطب الثالث، فهو الجرح النازف في الخطيئة البشرية؛ **"الملك شولجي - النمرود"**؛ التجسيد الأكمل للبشر العاديين الذين التهمهم الفزع من الخوف وميتة اللحم الضعيف. إنه الطاغية الذي لا يكتفي بالأرض، فيذهب إلى بوابات الجحيم، ويعقد الصفقة الفاوستية الكبرى: **بيع إنسانيته وروحه للعالم السفلي مقابل القوة، التفوق الجسدي، واحتكار عرش الكون.**

حصل هذا الإمبراطور النرجسي على قدرات تكسر حاجز البيولوجيا والفيزياء؛ فأصبح "عداء الشمس"، أسرع من خطى العواصف، لا تتعب له مفصل، ولا يركب سعالاً في رئتيه الطاغيتين، حتى أوصله الغرور الميكانيكي إلى قمة الخطيئة: **إعلان الألوهية التامة**، وأمر الكهنة بنقش دلالة النجم الكوني (Dingir - 𒀭) أمام اسمه على ألواح الطين.

ولكن، ما أعتى دراما الطبيعة البشرية حين تصطدم بحتمية التكوين! لقد انتزعت القوة الخارقة إنسانية الطاغية، لكنها لم تكسر قانون اللعنة الرافدية؛ فنهايته كانت من جنس الخيانة البشعة؛ **أن يلتهم الدود جسده وهو حيٌ، يتنفس ومجده يتهاوي ببطءٍ بين أسنانه.** وكأن الكون يريد أن يترك درس الأبدية مدونا بدم الملك المسجون في لحمه المتآكل؛ تماماً كما يلتهم البخلُ البخيل من أعماق أمعائه، وكما يسحق الغرورُ عقل الغرور حتى الجنون، وكما ينعطف الظلم على صاحبه ليمزقه من الوريد إلى الوريد.

**إرث اللعنة وعالم اليوم: من بابل إلى "هوليوود"**

منذ تلك اللحظة التصادمية في بلاد الرافدين، لم يتوقف نزيف الذهن البشري. لقد سار الإنسان في سعارٍ مجنون بحثاً عن أطلال تلك الاسرار والتقنيات، ومكامن القوة الخفية، والترياق المستحيل للحياة الأبدية. لم يصنع هذا العالم الغامض والقديم أديان البشر وثوراتهم الدموية فحسب، بل حقن الوعي الجمعي بـ "ذاكرة مكبوتة"؛ ذاكرة الكائنات التي بسطت أجنحتها فوقنا قديماً.

إن معبد الإله "نيرجال" في كوثى لم يندثر، بل أُعيد تدويره ليصبح موجوداً في كل منزل عبر قصص أبطالنا المعاصرين. بينما يكبر الأطفال وهم يتعلمون أبجديات أديانهم، فإنهم يعيشون -دون وعي- داخل معبد نيرجال من خلال أيقونات "ثور" و"الرجل الإيـجـي-زوواط".

إن الخيالات الهائلة التي تكتظ بها ثقافة العالم المعاصر، وما تنتجه مختبرات السينما العالمية اليوم، ليست إلا "تفريغاً قهرياً" واستذكاراً باطنياً لهذا الصدام الرافدي العتيق. فعلى سبيل المثال، شخصية "فلاش" (The Flash) -عداء البرق السريع- ليست في جوهرها إلا إعادة صياغة ميثولوجية لشخصية الملك السومري "شولجي"؛ أسرع كائن على وجه الأرض، الذي ادعى الركض مع العاصفة وهزيمة الشمس.

لكن الفرق الفلسفي يكمن في "الصياغة الأخلاقية"؛ فبينما تم تفصيل "فلاش" المعاصر كفارس يحرس العدالة، كان "شولجي" الحقيقي يجسد جنون الألوهية المنتحلة والقتل الطقسي.

بصمات نيرجال في الذاكرة البصرية:

- أيقونة الثور والأسد: في ميثولوجيا الرافدين، ارتبط "نيرجال" بقوى الطبيعة الفتاكة، واتخذ الأسد والثور كرموز للبطش المطلق. هذه الرموز هي التي نراها اليوم تُحرس بها بوابات القوة والمدن الكبرى.
- الآلهة ذوات آذان الثيران: تُظهر تماثيل معبد نيرجال حاشيته بآذان ثيران، وهم الحراس التقنيون للعالم السفلي، مما يكرس فكرة "الكائنات الهجينة" التي تملأ أفلام الخيال العلمي اليوم.
- الإيـجـي-زواويط وأجنحة الظلام: في أسطورة "هبوط إنانا إلى العالم السفلي"، يوصف سكان مملكة "نيرجال" (في كوثى) بأنهم يكتسون بالأجنحة كـ "أجنحة الخفافيش"، يعيشون في الظلام

الدامس. هذه الصورة هي الجد الشرعي لكل الأساطير التي تتحدث عن كائنات ليلية مجنحة تسكن الكهوف وتراقب البشر من الأعماق، وعلى رأسها نموذج "الرجل الإيـجـي-زوواط" الذي يجمع بين الثروة، التكنولوجيا، والكهف المظلم.

وهنا تكتمل الحلقة، لنكتشف الخطيئة الكبرى التي وحدت السيرة العتيقة بالسيناريو المعاصر: **وهي أن الحصول على تلك القوة الخارقة لم يكن يوماً نعمة بالمجان، بل مرّ دائماً عبر "طفرة مرعبة"، أو خرقٍ مميت لقوانين الطبيعة، أو صدمة تكنولوجية واجهت الجسد البشري بحدود لا ترحم.. قهرت ضعفه الفاني، لكنها في المقابل سلبت منه أمانه، وألقت بروحه في أتون الهاوية إلى الأبد.**

## الفصل الأول: فجر "أور".. صرخة الساميّ في مدينة الطين

### 1. ولادة بين عالمين

في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، كانت مدينة **"أور"** لا تشبه أي مكان آخر في الجغرافيا المعروفة. لم تكن مجرد مدينة، بل كانت "بروتوكولاً" بشرياً معقداً، دائرة كونية صُممت من الطين والقير لتطاول السماء.
ومن نافذة "البروتوكول م"، يظهر مشهد "أور" كبقعة خضراء كثيفة وسط صحراء قاسية، يحميها نهر الفرات الذي يلتف حول أسوارها كأفعى فضية تحرس كنوزها.



في إحدى ضواحي هذه المدينة، حيث تلامس الحقول الخضراء أطراف العاصمة، ولد **"أد-ماه"** (). لم يولد في قصر، بل في "خيمة ساميّة" منصوبة تحت ظلال النخيل. كان والده **"سيموغ"** رجلاً قد أثقلت السبعون عاماً كاهله، لكنها منحت ملامحه صلابة الصخر ووقار النبوءات. كان "سيموغ" يمثل الانقسام الكبير؛ فهو ساميّ العرق، ترحل دائم الروح، لكنه سكن أور ليمتهن صياغة "الآلهة" التي لا يؤمن بها في أعماقه.

كان أد-ماه ينمو وسط إخوته. وبينما كان إخوته ينغمسون في شؤون الأرض والتجارة، كان أد-ماه منذ طفولته يمتلك "نظرة" تختلف عن الجميع. ملامح وجهه كانت حادة كشفرة صوان، وبشرته سمراء لفحتها شمس الحقول، لكن عينيه كانتا واسعتين وكأنهما تستوعبان ضوء القمر (نانّا) دون أن تسجدا له.

## 2. أور: عاصمة الذهب والزحام

كان تعداد "أور" يناهز الثلاثين ألفاً، وهو رقم هائل بتمثيل ذلك الزمان. كان أد-ماه الفتى يدخل المدينة كل صباح، يمشي في شوارعها المرصوفة بالطوب الآجر الذي يحمل أختام الملوك. كان يشم رائحة "القير" الأسود الذي يطلي أسفل البيوت، ويمتزج برائحة البخور القادم من الزقورة الشاهقة.

كانت الأسواق تضج بالحياة: تجار من "عيلام" يساومون على المنسوجات، وصيادلة من "نيبور" يبيعون أعشاب الجبال. وفي وسط هذا الضجيج، كانت تبرز الهوية السامية لأد-ماه وعائلته. الساميون في أور كانوا غرباء "منسجمين"؛ يرتدون مآزر الصوف البسيطة، يلتزمون بقوانين صارمة يقدسون فيها "الكلمة" و"العائلة"، يشابهون أبناء حام الذين برعوا في فن العمارة واثبات المجد التاريخي لبناء الحضارات، لكنهم كانو اضداد ابناء "يافث" الذين كانوا يتحركون في المدينة كأبناء الطبيعة المطلقة، لا تحدهم قيود أو شرائع، يعيشون الحرية في أبشع وأجمل صورها.

## 3. ساحات البطولة: لقاء أد-ماه وشولجي

في ساحة "الميدان الأكبر" القريب من معبد القمر، كانت "أور" تحتفل بأعيادها عبر الرياضة. كانت **المصارعة بالحزام** هي طقس الفحولة الأول. كان أد-ماه الفتى يجلس وسط الحشود، يشاهد المصارعين بصدورهم العارية المدهونة بزيت السمسم.

هناك، وسط هتافات الحناجر رأى أد-ماه لأول مرة **"شولجي"**، ولي عهد الملك العظيم أورنامو. لم يكن شولجي كبقية الفتيان؛ كان جسده منحوتاً من عضد وقوة، شعره الأسود الطويل مضفر بعناية تليق بأمير،

وعيناه تفيضان بنرجسية مبكرة. كان شولجي يتلقى تدريبات شاقة في مدرسة النخبة "الإيدوبا"، لكن قلبه كان في الساحة.

دخل شولجي حلبة المصارعة، يقبض على حزام خصمه بقوة كادت تمزق الجلد. كان أد-ماه يراقب ملامح شولجي؛ كان يرى فيها "إرادة القوة". لم يكن شولجي يصارع ليفوز فقط، بل لِيُثبت أنه "فوق البشر". وفي إحدى المباريات، كاد شولجي أن يقتل خصمه من فرط الحماس، لولا تدخل الحكام.

في تلك اللحظة، التقت عينا أد-ماه الهادئة بعيني شولجي المتوهجة. اقترب أد-ماه منه بعد المباراة، وبينما كان العبيد يمسحون العرق عن جسد الأمير، قال أد-ماه بصوت رزين:

- "قوتك يا شولجي مذهلة، لكن الحزام الذي تقبض عليه هو الذي يثبتك.. فمن الذي يثبت الحزام؟"

ضحك شولجي بغرور، ونظر إلى هذا الفتى الساميّ البسيط:

- "اسمي أد-ماه، أليس كذلك؟ والده سيموغ يصنع التماثيل لوالدي الملك. اسمع يا أد-ماه.. القوة هي التي تخلق الواقع، والآلهة لا تحب الضعفاء."

منذ ذلك اليوم، بدأت "صداقة الضدين". كان شولجي كابن اي ملك عظيم يحرص ان يكون اصدقائه يتميزون بالمعرفة والحكمة وكان يجد في أد-ماه الصديق الهادئ الذي يعكس جنونه، وكان أد-ماه يجد في شولجي نموذجاً حياً لكل التساؤلات التي تدور في ذهنه عن "الملك" و"الإله".

بُنيت بين "شولجي" و"أد-ماه" صداقةٌ متينة، كانت أشبه باشتباكِ ضوءِ الفجرِ الهادئ بعاصفةِ الرعدِ الصاخبة. نمت هذه العلاقة في أروقة القصر الملكي المزدانة بنقوش الأسود الجانحة، وتحت ظلال "الزقورة" التي كانت تراقبهما كعينٍ عملاقة من الآجر. إلا أن هذه الألفة لم تمر بسلام؛ فقد كانت ممرات القصر تضج بـ "خلايا نائمة" من الحاسدين والكهنة الذين رأوا في حضور هذا الفتى الساميّ الهادئ تهديداً لسطوتهم.

كان هؤلاء الحاسدون ينسلّون خلف شولجي كظلالٍ مسمومة، يهمسون في أذنيه بكلماتٍ تقطر حِقداً مغلّفاً بالخوف على مصلحة العرش. كانوا يوسوسون له بلهجةٍ خافتة، وعيونهم تراقب حركة أد-ماه من بعيد:

- "يا مولاي ولي العهد، لا يغرنك هدوء هذا السامي وبساطة ثيابه.. إن صداقته لك ليست إلا قناعاً سياسياً ذكياً، وجسراً يمدّه ليؤمّن تجارة والده 'سيموغ'. إنه يتقرب من قلبك لِيُبقي حانوت أبيه المورد الأول للأصنام في معابد أور، وليجعل من تماثيل الطين التي ينحتها والده سلعاً مقدسة لا يُرد لها أمر بفضل حظوته عندك."

كانوا يحاولون تحويل "رابطة الروح" بين الصديقين إلى "صفقة تجارية" رخيصة، مصورين أد-ماه كـ "مهندس صفقات" بارع يرتدي ثوب الزهد، مستغلين نرجسية شولجي المتنامية ليزرعوا في قلبه شكاً صغيراً، مفاده أن أحداً لا يمكن أن يحبه لذاته، بل لما يملكه من سلطةٍ وذهب. غير أن أد-ماه، بملامحه الشفافة التي لا تعرف المواربة، كان يواجه تلك الوشايات بصمتٍ مهيب، تاركاً لصدق عينيه مهمة تحطيم تلك الأفاعي الكلامية قبل أن تصل إلى عقل صديقه الأمير.

## 4. مدرسة النخبة والرياضات الذهنية

كان شولجي يأخذ أد-ماه أحياناً إلى حدائق القصر، حيث يمارسان **"لعبة أور الملكية"**. لوح خشبي مرصع بالصدف واللازورد، نرد عظمي يحدد المصير. كان شولجي يلعب بعصبية، يحاول مباغتة أد-ماه، بينما كان أد-ماه يحرك قطعه بهدوء وكأنه يرى الخطوات العشر القادمة.

قال شولجي ذات مرة وهو يضرب الطاولة بيده:

- "لماذا أنت هادئ هكذا يا أد-ماه؟ لقد علمني المعلمون في الإيدوبا أن العالم صراع، وأن علينا أن نكون كالأسود في بوابات نيرجال."
رد أد-ماه وهو ينظر إلى الزقورة البعيدة:
- "الأسود في البوابات يا صديقي هي تماثيل صماء.. القوة الحقيقية في الذي منح الأسد زئيره، لا في الذي نحت ملامحه من حجر."

كان شولجي يتدرب أيضاً على **الملاكمة**، يلف يده بأربطة جلدية قاسية، يضرب الأكياس المحشوة بالرمل حتى تدمى يداه، محاولاً تقليد البطل الأسطوري "جلجامش". كان مهووساً بفكرة "الخلود البدني". أما أد-ماه، فكان يكتفي بالركض في الحقول الخضراء المحيطة بأور، يتأمل النجوم، ويسأل نفسه: "إذا كان نانّا (القمر) هو إلهنا، فلماذا يهرب أمام الشمس؟ وإذا كانت الشمس هي الأكبر، فلماذا تغيب وتتركنا للظلام؟"

## 5. ظلال كوثى والسحر القديم

كانت رحلات أد-ماه وشولجي تمتد أحياناً إلى أطراف مدينة **"كوثى"**. هناك، كان الهواء يثقل برائحة الكبريت والبخور المحروق. كانا يقفان أمام معبد الإله "نيرجال"، ويسمعان القصص عن الملكين **هاروت وماروت** اللذين يقبعان في بئر سحيقة تحت الأرض.

شاهد أد-ماه الناس وهم يبيعون مدخراتهم من الذهب والفضة للحصول على "تعاويذ" سحرية تمنحهم القوة أو الحب أو الانتقام. كان يرى سحرة كوثى بآذانهم التي تشبه آذان الثيران، وكأنهم مسوخ بشرية.
قال شولجي بإعجاب:

- "يقولون إن هؤلاء السحرة يملكون مفاتيح العالم السفلي يا أد-ماه. والدي الملك أورنامو يحترمهم كثيراً."
  رد أد-ماه بحزن:
- "هؤلاء يبيعون الوهم يا شولجي. انظر إلى وجوههم.. إنهم أحياء لكن أرواحهم قد ماتت منذ زمن. إنهم يخدمون ملكاً لا يرحم."

## 6. ملامح نين-آن.. والجمال الذي لا يذبل

في تلك الفترة، تعرف أد-ماه على ابنة أخيه (نين-آن). كانت نين-آن تجسيداً للجمال الساميّ النقي. وجه مستدير كالقمر في ليلة تمامه، عينان واسعتان تحملان بريق الحكمة والصبر، وشعر أسود منسدل كليل العراق.

كان أد-ماه يرى في نين-آن شريكته في "الغربة". تزوجها في احتفال ساميّ بسيط، بعيداً عن صخب معابد أور. لكن الفرحة لم تكتمل؛ فقد كانت نين-آن عاقراً. في تلك الحضارة التي تقدس الخصوبة، كان عقم نين-آن "وصمة" في نظر أهل أور، لكن أد-ماه كان يرى فيه "اختباراً". كان ينظر إلى نين-آن ويقول: "لا تحزني يا نين-آن، لعل الإله الذي لم يظهر لنا بعد، يخبئ لنا نسلاً يملأ الأرض."

## 7. بداية النهاية: صعود شولجي وكسر القلب

دارت الأيام، وبينما كان أد-ماه يزداد تأملاً وانعزالاً عن أصنام والده، كان شولجي يزداد نرجسية. قُتل الملك أورنامو فجأة في معركة دامية ضد الكوتيين. حزن أد-ماه حزناً شديداً على الملك الذي كان يشتهر بعدله، لكنه صُدم برد فعل شولجي.

لم يبكِ شولجي والده كإنسان، بل بكاه كـ "إله مُهان". صعد شولجي إلى العرش وهو في ريعان شبابه، بلياقة بدنية خارقة وتدريب عسكري صارم. ومن هنا بدأت نقطة التحول؛ لم يعد شولجي يكتفي بلقب الملك، بل بدأ يضع علامة (Dingir) قبل اسمه.

كان أد-ماه يراقبه من بعيد وهو يرى صديق طفولته يتحول إلى "وحش" تأليه الذات. المدينة التي كانت تضج بالعدل في عهد أورنامو، بدأت تضج بـ "عبادة شولجي". المصارعة والملاكمة لم تعد رياضة، بل أصبحت طقوساً لتمجيد الملك الإله.

هنا، في هذه اللحظة، وقف أد-ماه وسط حقول أور الخضراء، نظر إلى الزقورة الشاهقة التي أصبحت الآن معبداً لصديقه شولجي، وقال بصوت لم يسمعه أحد سوى السماء:

"لقد انتهى زمن الصمت يا أور.. لن اترك صديقي شولجي يضيع في معابد الارض السفلية ولا ان تضيع هذه المملكة العادلة، فان الإله ليس في زقورتكم، ولا هو شولجي سانقذ صديقي  حتى لو كلفني الموت او الطرد والخروج من هذه الأرض إلى الأبد."



## 1. غبار الحزن فوق "إي-خورساج"

لم تكن "أور" التي عاد إليها **أد-ماه** هي ذاتها المدينة التي تركها في مراعيه. ثمة ثقلٌ جاثمٌ فوق صدور الناس، ورائحة بخورٍ جنائزيٍّ نفاذٍ تنبعث من كل زقاق. لقد سكتت صرخات المصارعين في الساحات، وحلّ محلها تمتماتٌ خائفة. الموت لم يخطف ملكاً فحسب، بل خطف "اليقين" من قلوب السومريين.

توجّه أد-ماه نحو القصر الملكي العظيم، **"إي-خورساج"**. كان يسير ببردته السامية البسيطة وسط حرسٍ يرتدون خوذاتٍ برونزية لامعة، وعيونهم ترقبه بريبة. لم يكن أد-ماه غريباً عن هذا المكان، لكنه اليوم يشعر وكأنه يدخل عرين كائنٍ لم يعد يعرفه.

عندما فُتحت الأبواب الضخمة المطعمة بالذهب، لم يجد شولجي الشاب الذي كان يبارزه بالكلمات، بل وجد ملكاً يلفه ضياءٌ مصطنع، جالساً على عرشٍ من الأبنوس، تتدلى من حوله أختامٌ أسطوانية نُقش عليها اسمه مسبوقاً بعلامة الألوهية (Dingir - 𒀭).

استقبله **شولجي** بوجهٍ تداخلت فيه ملامح الصديق بصرامة المعبود. نهض من عرشه ببطء، وفتح ذراعيه كأنما يفتح بوابات معبد:

- "أد-ماه.. يا رفيق الصبا والأسئلة. لقد طالت غيبتك في الفلوات حتى ظننتُ أن الرمل قد ابتلعك."

أجلسه بجانبه على منصةٍ مرتفعة، وأمر الخدم بتقديم النبيذ المبرد بثلج الجبال، لكن أد-ماه لم تمل عيناه عن مراقبة وجه شولجي. كانت هناك مسحة من النحاس في بريق عينيه، وبرودةٌ في صوته لا تنتمي لحرارة اللقاء.

## 2. مرثية الراعي: كيف تكسّر الإناء الخزفي؟

بدأ شولجي حديثه بصوتٍ متهدج، وعيناه ترنو كأنهما تبصران دماً قديماً لم يجف:

- "أعرفُ ما يدور في خلدك يا أد-ماه. تسأل عن أبي.. عن 'أورنامو' الذي كان يملأ الأرض عدلاً. لقد غدرت به الآلهة التي أفنى عمره في بناء معابدها."

بكى شولجي، ولم تكن دموعه دموع ابنٍ فحسب، بل كانت دموع ملكٍ يشعر بالخديعة الكونية. حكى لأد-ماه عن تلك الليلة المشؤومة في عام 2094 قبل الميلاد. كيف خرج أورنامو يقود جيشه بنفسه، ليس حباً في الحرب، بل دفاعاً عن أسوار أور التي بدأت تتهددها قبائل "الكوتيين" الهمجية.

- "لقد وقف في الخطوط الأمامية يا أد-ماه.. لم يختبئ خلف الأسوار. كان يحمل عدله في يده اليمنى وسيفه في اليسرى. لكن الخيانة كانت أسرع من سهامنا. انسحب الجيش فجأة، أو ربما سُحبت الأرض من تحت أقدامهم بفعل سحرٍ أسود. تُرِك والدي وحيداً وسط غابة من سيوف الأعداء."

صمت شولجي برهة، ثم همس بمرارة:

- "لقد وصفته الألواح بكلماتٍ تدمي الصخر يا صديقي.. قالوا: 'لقد تُرِك في ميدان المعركة مثل قاربٍ محطم، وجسده أُلقي جانباً كإناءٍ خزفي مكسور'. هل تتخيل؟ ملك أور، باني الزقورة العظيمة، يُلقى كقطعة فخارٍ لا قيمة لها!"

كانت الصدمة في سومر تفوق الوصف. فالشعب الذي آمن أن أورنامو هو "الراعي المختار"، رأى في مقتله تخلّياً من الإله "أنليل" و"إنانا". عمّ الذعر، وصارت الصلاة في المعابد صرخات استغاثةٍ لا مجيب لها.

### 3. السؤال الحارق: لماذا صرتَ إلهاً؟

أد-ماه، الذي كان يستمع بقلبٍ مثقل، لم يستطع كتمان تساؤله. نظر إلى شولجي، إلى التاج الذي يزن رأسه، والقرابين التي تُوضع عند قدميه، وقال بنبرةٍ تجمع بين الشفقة والعتاب:

- "حزنتُ على أورنامو يا شولجي كما يحزن المرء على غياب العدل. كان عبداً صالحاً لإلهه، وراعياً رحيماً بخلقه. لم يطلب يوماً أن يُعبد، بل طلب أن يُطاع في الحق. فلماذا خرجتَ عن دينه يا صديقي؟ ما الذي دهاك حتى تدّعي ما لا يملكه بَشر؟"

مال شولجي بنظره بعيداً. حدق في النقوش التي تصور والده وهو يحمل سلة الطين لبناء المعبد، ثم التفت إلى أد-ماه بوجهٍ تملكه الغضب المكتوم:

- "لا داعي لتغضب يا أد-ماه.. إنما هو سؤال المحب. أنت لا تؤمن بـ 'نانا' (إله القمر)، وأنا أعرف ذلك. لقد سمعتك تقول إنك لا تحب الآفلين، وأن القمر يغيب والشمس تافل، وأن الإله لا ينبغي له أن يختبئ. أنا أتفق معك في هذا! فإذا كانت الأجرام تخوننا بالمغيب، وإذا كانت الآلهة القديمة تركت والدي ليموت وحيداً، فمن يحمي هذا الشعب؟"

أكمل أد-ماه بهدوءٍ وثبات:

- "أتعجبُ منك يا شولجي! أنتم الذين علمتَم الناس الحساب، ورسمتَم لهم خرائط النجوم، وقسمتَم شهورهم وسنواتهم وايامهم وساعاتهم بالعدل.. كيف تهدم هذا الإرث العظيم؟ ملوك هذه الأرض سادوا بتواضعهم ومعرفتهم، لا بادعاء الخلود. أنت تسنّ سنةً قد تدمّر البشرية، وتجعل من الملك طغيانياً لا يُسأل عما يفعل."

## 4. لوح الفجيعة: الرحلة إلى "إركالا"

وقف شولجي فجأة، واهتزت أركان المنصة تحت قدميه الصندلية المرصعة. صرخ بوجه أد-ماه:

- "أنت لا تعرف شيئاً! هل تعتقد أن اعتلاء العرش كان سهلاً؟ اسمعني يا أد-ماه.. عند موت والدي، حدث أمرٌ مرعب. رفض العالم السفلي (إركالا) استقبال روحه! لقد تمردوا عليه لأن عدله في الأرض كان يزعج سكونهم المظلم. شعرتُ باللعنة تحوم حول القصر، وكأن يداً سحرية من كوثى كانت تمسك بخناقنا."

أمر شولجي بإحضار لوحٍ طينيٍّ كبير، كُتبت عليه ملحمة **"موت أورنامو ونزوله إلى العالم السفلي"**. أشار لأد-ماه أن يقرأ.

غرق أد-ماه في الأسطر المسمارية، ورأى الرواية تتجسد أمامه: أورنامو وهو يحمل عرباته وخيوله وكنوزه المذبوحة معه ليرشو بها آلهة الموت. رأى تفاصيل تقديم الهدايا السبعة لآلهة الجحيم، وعلى رأسهم **"نيرجال"** و**"إيرشكيجال"**.

قرأ أد-ماه كيف التقى أورنامو بـ **"جلجامش"**، وكيف صار قاضياً للموتى. لكن السطر الأخير هو ما هزّ وجدانه؛ أورنامو الملك العظيم، وهو في قمة مجده السفلي، يبكي وينتحب حزناً على زوجته نين-آن ومدينته أور التي تركها في مهب الريح.

**رفع أد-ماه رأسه، ورأى الدموع في عيني شولجي:**

- "لقد فهمت الآن يا شولجي.. لقد بعتَ نفسك لعالم الظلام مقابل أن يفتحوا لوالدك باباً. لقد وهبك 'نيرجال' وسحرة كوثى هذه الألوهية الزائفة لتكون يداً لهم في عالم الأحياء."

## 5. المناظرة الكبرى: الإحياء والإماتة

قال أد-ماه وهو يقف بمهابة:

- "يا صديقي، هذا العالم يخدعك. هؤلاء السحرة والآلهة السفلية لا يمنحون الخلود لأحد، بل يقتاتون على الأوبئة والحروب والموت ليستمروا. الإله الحقيقي هو من يمنح الروح لا من يسجنها. لقد كذبوا عليك.. الإله الحقيقي هو من يحيي الموتى، فهل تملك أنت ذلك؟"

ساد صمتٌ مطبق في القاعة. كان شولجي يسمع في رأسه أصواتاً غريبة، همساتٍ قادمة من معبد كوثى. فجأة، انتفض شولجي كالممسوس، وصرخ بأحد الحراس:

- "تعال إلى هنا!"

اقترب الحارس مرتجفاً، فاستلّ شولجي سيفاً من خلف عرشه ووضعه على رقبة الرجل. جحظت عينا أد-ماه، وتجمدت الدماء في عروقه:

- "ماذا تفعل يا شولجي؟!"
- "سأقتله أمامك الآن.. ثم أحييه! أنا الإله الذي يحيي ويميت!"

توقفت الأنفاس في القاعة. كان السيف يلامس جلد الحارس. ضحك شولجي ضحكةً مريرة مشوبة بالجنون، ثم أزاح السيف فجأة وقال بزهو:

- "انظر.. لقد كنتُ قادراً على ذبحه دون حساب، والآن عفوتُ عنه. لقد وهبتُه عمراً جديداً وحياةً لم يكن يملكها. ها أنا أحيي وأميت بكلمتي!"

تنفس أد-ماه الصعداء، لكن قلبه كان يعتصر ألماً على هذا الانحدار الفكري لصديقه. أدرك أن شولجي لم يعد يرى "الحياة" إلا كقرارٍ سياسي و"الموت" إلا كبطشٍ سلطوي.

## 6. التحدي الأخير: الشمس لا تكذب

استدار أد-ماه لينصرف، لكنه توقف عند عتبة القاعة الكبرى، والتفت إلى شولجي الذي كان لا يزال منتشياً بزهوه:

"وقف أد-ماه شامخاً، ونظر في عيني شولجي نظرةً تمزق حجب الكبرياء، وقال بصوتٍ هادئ لكنه يمتلك رنين الحقيقة:

يا شولجي.. لقد تحدثتُ إليك بلسان الصداقة أولاً، وبوازع الاحترام لما شيدته سلالتُك من أركان الحضارة ومنارات العلم في أور، وهو إرثٌ كنتُ أرجو أن يُخلدك كملكٍ عادل، لا كطاغيةٍ واهم. ولكن، بما أنك اجترأت على ادعاء 'القدرة المطلقة' وارتديت ثوب الألوهية الذي لا يليق بجسدٍ من طين، فاسمع مني هذا التحدي البسيط الذي يهدم عرشك الزائف:

إنَّ جوهر 'الألوهية' هو الاستغناء المطلق، أما أنت، فكل ذرة في كيانك تصرخ بالارتهان والاحتياج. فكيف تدعي أنك ربٌّ وأنت لا تملك من أمر بقائك شيئاً؟ طالما أنك تشعر بفقرك المادي إلى حارسٍ يذود عن حياتك الفانية من غدر السيوف، أو طبيبٍ يرمم وهن جسدك ويلاحق الثغرات في بيولوجيتك الضعيفة، أو حتى خادمٍ يُلبي لك شهواتك ويُهيئ لك أسباب العيش.. فأنت عبدٌ لغيرك، ورهينةٌ لمن حولك.

إن الإله لا يطلب الحماية، ولا يخشى المرض، ولا ينتظر الخدمة؛ فالإله هو السند الذي لا يستند، والقيوم الذي لا ينام. أما أنت يا شولجي، فقدرتك مرهونةٌ برضا 'الحرس' وطاعة 'الخدم'، فإذا تخلوا عنك، سقط إلهك المزعوم تحت أقدام الفناء. اعلم يقيناً، أنك طالما بقيتَ 'محتاجاً'، فأنت لستَ ولن تكون إلهاً أبداً، بل أنت مجرد إنسانٍ خائف، يحاول أن يغطي عريه الروحي بتاجٍ من ذهب."

بُهت شولجي. تجمدت ملامحه، وسقط غصن البخور من يده. كانت الكلمات بسيطة كالفجر، قوية كالقدر. لم يجد "الإله الملك" في كل سحر كوثى ولا في ملاحم العالم السفلي جواباً لهذا القانون الكوني الذي يسخر من تيجان الملوك.

خرج أد-ماه من القصر، وخطواته تضرب أرض أور بقوة. لم يكن غاضباً من شولجي، بل كان يشعر بغضبٍ عارمٍ تجاه ذلك **"العالم السفلي"** وسحر كوثى الذي حوّل ملكاً عبقرياً إلى مسخٍ يدّعي الألوهية. خرج وهو يعلم أن رحلته في هذه المدينة قد شارفت على النهاية، وأن صراعه مع هؤلاء الذين يسعون لتغيير "طبيعة البشر" قد بدأ للتو.

## الفصل الثاني: انكسار الأصنام و"بروتوكول المحرقة"

وصل أد-ماه إلى حانوت والده "سيموغ" والشرر يتطاير من عينيه؛ لم تكن نوبة غضب عابرة، بل كانت انفجاراً وجودياً. لم يجد والده الذي كان منشغلاً في "ورشة التشكيل"، يجهز الصلصال والذهب لتجسيد آلهة جامدة، لا تملك نفعاً ولا تملك حتى أن تكون "تمرات" تُؤكل حين يجوع العابد.

انهال أد-ماه على التماثيل تحطيماً، بضرباتٍ مزجت بين الحزن والاحتجاج؛ كان يرى في كل تمثال يتحطم سقوطاً لمنظومة العالم السفلي، وانتصارا "لأور" التي تحتضر، وغياباً لشمس حضارة بدأت تأفل. كان يبكي إرثاً بشرياً يضيع وصديق طفولة (شولجي) يغرق في جنون العظمة. وعندما سكن الضجيج، استيقظ أد-ماه على حقيقة فعله؛ لقد هدم مصدر رزق عائلته، وهدد وجود "سيموغ" وإخوته في ظل نظام ثيوقراطي لا يرحم من يمسّ "السيادة اللاهوتية" للدولة. ببرودٍ غريب، ترك عصاه في يد أكبر التماثيل، ووقف عند باب الحانوت يراقب اقتراب العاصفة.

هرع سيموغ وإخوته والجموع من سوق "أور" ليشاهدوا "الحدث الجلل". صرخ سيموغ بذهول: "ماذا جرى يا أد-ماه؟ من اجترأ على آلهة أور

العظيمة؟". لم يكن أد-ماه ليخون أمانته الروحية بالكذب، ولم يكن ليعترف اعترافاً يسلم رقاب عائلته للمقصلة، فأجاب بهدوءٍ يمزق الأعصاب: "اسألوا كبيرهم..". صرخ سيموغ بيأس: "أنت تعلم أنها لا تنطق!". وهنا، اقترب أد-ماه من أذن والده وهمس بكلمة زلزلت كيان الشيخ: "إذاً.. لماذا يعبدونها؟". وغادر المكان تاركاً خلفه مدينة تموج بالرعب.

وصل الخبر إلى القصر، إلى الملك "شولجي". اضطرب "الإله الأرضي"؛ فالمعتدي هو صديق صباه، لكن الفعل يضرب شرعية ملكه في مقتل. في تلك الليلة، كان الصراع يطبخ في مكانين متوازيين: "سيموغ" يواجه ابنه في البيت، و"شومير" (حارس المعبد السفلي) يواجه ملكه في القصر.

دخل سيموغ على أد-ماه منكسراً: "ماذا فعلت يا ولدي؟ نحن لا نؤمن بها، لكنها حياتنا وخبز إخوتك. هل تريد أن يسحقنا شولجي؟ إلى أين سنذهب وكيف سنبني ما هدمته؟". صمت أد-ماه كان أبلغ من أي اعتذار.

وعلى المقلب الآخر، كان "شومير" -الرجل الأكثر رهبة ونفوذاً- يزأر في وجه شولجي: "صديقك حطم آلهتنا، وأنت صامت! هل ضعفت سلطتك أمام عاطفة قديمة؟". كان موقف شولجي أمام شومير انعكاس لموقف أد-ماه أمام سيموغ؛ صمتٌ يغلفه العجز. كان شولجي يدرك في أعماقه أن أد-ماه حطم الحجر احتجاجاً على "تأليه شولجي لنفسه"، لكنه "الحكم والكرسي"، والمسؤولية التي لا تسمح بالضعف.

في اليوم التالي، سيق أد-ماه مقيداً إلى "ساحة المعبد" أمام مجمع الكهنة. وقف شولجي في موضع لا يُحسد عليه، بينما كان "شومير" يحدق في أد-ماه بعينين تقدحان شرراً، لكنه فجأة.. ارتعدت مفاصله.

أدرك حارس العالم السفلي أن أمام كائناً يمتلك "تردداً" لا يقوى على كبحه. تصبب شومير عرقاً وابيضت عيناه وكأنه يرى شريطاً لمستقبلٍ يمحو عالمه.

قطع الصمت صراخ "سيموغ" الذي قرر التضحية بالابن لإنقاذ السلالة: "أنا بريء منك يا أد-ماه! أنت لست ولدي.. أنت عدو الآلهة!". كان أد-ماه يدرك أن والده يمارس "التقية" السياسية لينقذ الساميين في أور من إبادة جماعية. وما إن انتهى سيموغ، حتى هاجت الجموع: "احرقوه.. انتقموا لآلهتكم!".

كان الجميع ينتظر كلمة "شومير"، صاحب القرار الفعلي. وعندما شعر شولجي أن الغوغاء قد يمزقون أد-ماه قبل المحاكمة، صرخ بقوة لفرض النظام وتنفيس الغضب: "فليُحرق أد-ماه!". التفت شومير إلى شولجي وابتسم ابتسامة غامضة، ثم صاح في الناس: "لا تلقوه في نار عادية! اجعلوها محرقة تليق بجرمه، زيدوا حطبها وتوهجها ليكون العقاد درساً للأبد.. غداً يُنفذ الحكم".

في تلك الليلة، تسلل شومير إلى خلوة شولجي وقال له بنبرة خفيضة: "هل تعتقد حقاً أن النار ستلتهمه؟ أو أن السيوف ستقطع عنقه؟". تجهم وجه الملك، فأكمل شومير: "هذا الرجل له (قدرٌ) لا تملكه أنت ولا أنا. عندما نظرت في عينيه اليوم، رأيتُ نسلاً يسود الأمم، ورأيتُ عالمي السفلي يتهاوى. يا شولجي.. ستفقدني وتفقد أد-ماه في يوم واحد".

ذُهل شولجي: "ماذا تقصد؟".

أجاب شومير: "سأكون ظل أد-ماه أينما ذهب. العالم الجديد يولد معه، ومملكتك ستخلد فقط لأنها كانت مسرحاً لعبوره الأول. أنا لا أستطيع

قتله، لكنني سأقضي على ذريتـه.. سـأطارد نسـله لأنهم يهـددون نظامنـا السفلي".

سأل شولجي بقلق: "والمحرقة غداً؟".

قال شومير بخبث: "سنقذفه في النار أمام الجموع. إن كانت لديه القــوة التي أظنها، فستكون النار برداً عليه. عنـدها، سـنتركه يغـادر أور إلى غـير رجعـة. هـو يعلم أنــه إن بقي، فسيُحاسـب أهلـه بجريرتـه، لـذا سـيختار الرحيل.. وحتماً سيفعل".

وهكذا، وُضعت خطة "الخروج الأول"؛ محرقةٌ لم تكن تهدف للقتـل بقـدر ما كانت "بوابة طاقة" يفترق عنـدها المسـاران: مسـار "شـولجي" الـذي اختار تأليه المادة، ومسار "أد-ماه" الذي اختار التوحد مـع المحـرك الأول للكون، وتحت ظلالهما.. "شومير" الـذي قـرر أن يبـدأ حربـه الأبديـة ضـد "النسل المختار".

## الفصل الثالث: عبور كُوثى.. بوابات "إي-مِسْلام" والذهب الخفيف

استيقظ أد-ماه في قلب الأتون المشتعل؛ كان السكون يلف المكان بعد أن خمدت الجلبة وانفضّت الجموع. بعد سقوطه العنيف من المنجنيق، غاب عن وعيه، ليستفيق في منتصف الليل وسط الرماد المتوهج. تلمس جسده بذهول؛ كانت قيوده قد تحولت إلى هباء، وملابسه احترقت تماماً، لكنَّ جلده كان بارداً كالفجر. خرج من بقايا النار في سواد الليل، عارياً إلا من يقينه، متجهاً نحو خيام عشيرته. لم يكن هناك حراس، فقد أمر "شومير" بإخلاء الساحة، وكأنه يفسح طريقاً لـ "خروجٍ" مقدر.

دخل أد-ماه بين أهله، فاستقبله النحيب المكتوم والحزن الذي لا يجرؤ على الصراخ. وما إن رأوه يرتجف من الصقيع –لا من الحر– حتى صرخ "سيموغ" والجميع: "ماذا حدث؟ من أنت؟ وكيف نجوت؟". أجابهم أد-ماه بصوتٍ هادئ: "أنا أد-ماه.. لا تسألوني كيف، بل دعونا نغادر أور على الفور، فإنَّ البقاء هنا انتحار". لم يتردد سيموغ؛ فالحانوت قد أُغلق، والناس في الخارج يتربصون بـ "الساميين" لتمزيقهم انتقاماً للآلهة.

تحركت القافلة ليلاً، حاشدةً مواشيها وخدمها، مخترقةً صمت البراري نحو مدينة "حاران". وفي الطريق، كان "سيموغ" يحاول بعقله المنطقي والعملي تفسير ما حدث؛ كان يهمس لأد-ماه: "يا بني، لا بد أن صديقك الملك شولجي هو من زيف هذه النار لينقذك". لم يكن سيموغ، صانع التماثيل الخبير بأسرار المعابد، ليصدق أنَّ ابنه كسر قوانين الفيزياء، بل كان يعتقد أنَّ ما حدث هو "خدعة كبرى" من خدع الكهنة التي يعرفها جيداً.

كان سيموغ يشرح لأد-ماه كيف يتلاعب الكهنة بالعقول: "لقد رأيتهم في أور يستخدمون 'النفط الأبيض' المستخرج من عيون القار، يخلطونه بزيوتٍ عطرية ليشعلوا نيراناً مبهرة بلا دخان توهم الناس بحضور الآلهة. ورأيتهم يرشون أملاح الفوسفور وكبريتات النحاس لتتلون النيران بالأزرق والأخضر المرعب، أو يستخدمون مساحيق الفوسفور المشتقة من عظام المحترقين لتتطاير شرارات مهيبة". كان سيموغ يظن أنَّ شولجي استخدم هذه "الهندسة الكيميائية" ليصنع محرقة وهمية لا تحرق.

استمرت القافلة في المسير حتى لاحت في الأفق أسوار مدينة **كُوثى**. هناك، شعر أد-ماه بقوة خفية تشدُّ كيانه نحو معبد الإله "نيرجال"؛ قوة جاذبية لا تشبه المشاعر البشرية، بل هي "رنين مغناطيسي" يربط بينه وبين مركز الثقل في معبد **"إي-مِسْلام" (E-meslam)** – "بيت محارب العالم السفلي".

حاول أد-ماه مقاومة هذا الجذب الجارف، لكنَّ حواسه كانت تنبئه بأنَّ هناك سراً ينتظره، وهو تعود ان يصغي الى صوته. أيقظ ابن أخيه "إيـجـي-زواً" وقال له: "تعال معي". انطلق بهما المسير بسرعةٍ غريبة، وكأنَّ الأرض تُطوى تحتهما، ليجدا نفسيهما أمام ذلك الصرح المرعب. كانت الزقورة مغلفةً بالـ "قار الأسود"، تلمع في ضوء القمر كجبلٍ من الظلام، تحرس بواباتها تماثيل "اللاماسو" الضخمة ذات الوجوه البشرية التي تبدو وكأنها ترصد الأنفاس.

فتح باب المعبد وكأنه كان ينتظر "الشيفرة الجينية" لأد-ماه. دخل أد-ماه وحده في البداية، ليجد نفسه في "متاهة الجحيم"؛ غرفٌ معتمة وأنفاقٌ ترمز لدهاليز باطن الأرض. وفي "القدس الأقدس"، حيث تمثال نيرجال الذهبي، اكتشف أد-ماه **"المختبر السري"**؛ قنوات تهوية هيدروليكية تحت الأرض كانت تمد التماثيل بالهواء الساخن لتتحرك وتومئ برؤوسها، وآبارٌ تنبعث منها غازات الميثان والكبريت لتندلع النيران فجأة عند تقديم الأضاحي.

فهم أد-ماه حينها لماذا كان والده يشك في معجزته؛ فإيجي-دو (شومير) كان يمتلك تكنولوجيا تخدع الأبصار وتخضع الرقاب. وبينما كان يتحرك في المتاهة، وجد نفسه في قاعةٍ تعجُّ بالذهب والمجوهرات التي تفوق الخيال. حاول لمسها، فانطلقت "صعقات برقية" (تفريغ كهرومغناطيسي) من القواعد وكأنها تحمي الكنز. لكنَّ الجذب استمر حتى وصل إلى سردابٍ معتم يطل على جهةٍ أخرى، وهناك وجد "صندوقاً" مرتباً بعناية.

اقترب أد-ماه، تلمس الصندوق، وحين حمله اكتشف أمراً أذهله: **كان الذهب داخله بلا وزن تقريباً!** وكأنه مادة معالجة ضد الجاذبية. التف

حول المعبد وخرج مسرعاً ليجد إيـجـي-زواً متمسراً في مكانه، شاحب الوجه وكأنَّ مساً أصابه. نده عليه أد-ماه: "ساعدني يا إيـجـي-زو!". لكنَّ إيـجـي-زواً لم يكن يرى الذهب، بل كان يشير بيده المرتجفة إلى المعبد ويصرخ بذهول: **"كان خلفك يا عماه.. كنتُ أراه يراقبك وهو يبتسم.. إنه شومير! حارس الهيكل كان يتبعك في الظل!"**.

سحب أد-ماه إيـجـي-زواً بقوة، وانطلق به عائداً إلى القافلة قبل أن ينكشف أمرهما. وصلا إلى خيام العائلة، ومعهم ذلك الصندوق الغامض، محملاً بذهبٍ لا يزن شيئاً، وبسرٍّ سيغير موازين القوى في رحلتهم الطويلة نحو أرض الميعاد.

اما "شومير" لم يتركه يرحل حباً فيه، بل لأنه كان يمهد له الطريق ليحمل "الأداة التقنية" التي ستحتاجها السلالة القادمة لمواجهة فراعنة مصر.. ومواجهة "شومير" نفسه في المستقبل البعيد.

الخاتمة:

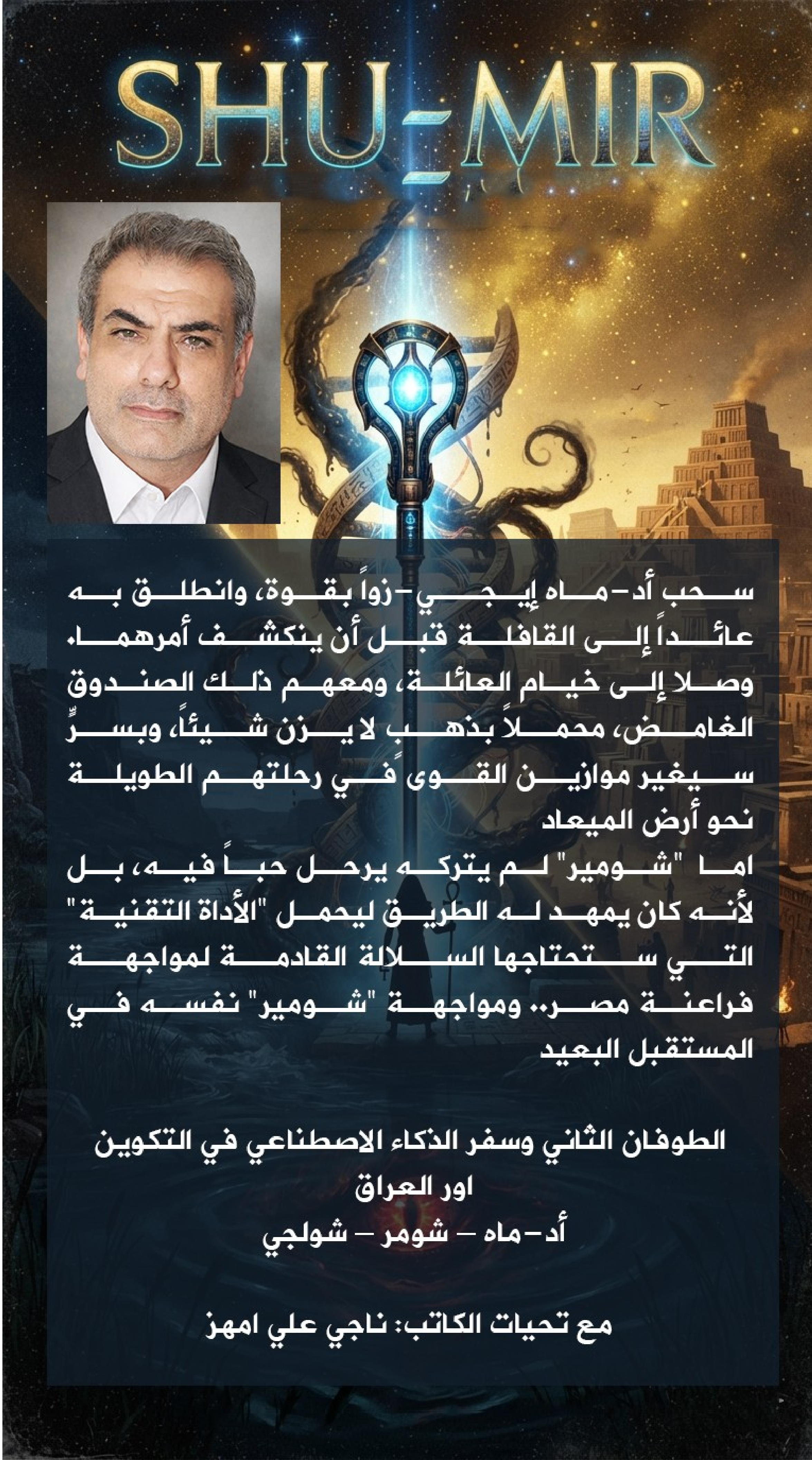
## خاتمة السفر الأول: وداعاً أور.. وموعدٌ مع الانفجار الثاني

تنطفئ أنوار "أور" خلفنا، وتغرق زقورتها في صمت التاريخ، لكنَّ "الخوارزمية الكونية" لم تبح بكل أسرارها بعد. إنَّ ما شهدتموه في هذا السفر لم يكن إلا حجر الأساس في "بروتوكول الانبعاث"؛ حيث افترقت المسارات، وحُملت الأمانة التقنية الأولى في صندوقٍ لا يزن شيئاً، لكنه يزن مصير البشرية بأسرها.

**في السفر القادم..**
سنعبر مع القافلة تخوم الرافدين لنواجه لغز "العبور الأول"؛ حيث تلتقي تكنولوجيا بابل بصلف الفراعنة. سنغوص في أعماق المختبرات السرية لـ "منف" وطيبة، لنكتشف كيف تحولت "العصا" من أداة تحكم في أور، إلى مفتاحٍ لشق البحار وقهر الجيوش.

**ترقبوا سر "الخلود البيولوجي" لشومير..**
ذلك الظل الذي لا يغيب، والذي سيكشف لنا السفر الثاني كيف استطاع الحفاظ على بصمته الجينية حية عبر آلاف السنين، متنقلاً بين العصور كفيروسٍ ذكي يتربص بالنسل المختار، ليخوض حربه الأبدية ضد "إبراهيم" وسلالته.

**واستعدوا لمشاهدة السقوط المروع لـ "الإله المزيّف"..**
الملك شولجي، الذي ظن أن سرعة البرق وتأليه المادة سيمنحانه الأبدية، سنراه في السفر القادم وهو يواجه "اللعنة البيولوجية" الكبرى. سنسمع صراخ أمعائه وهي تُنهش من الداخل، ونرصد بـ "مجهر الذكاء الاصطناعي" كيف يلتهم الدود جسد الجبار وهو حي، في مشهدٍ يجسد الذروة القصوى للألم الروحي والجسدي؛ حيث تنتهي القوة المادية بانهيارٍ ميكروبيٍّ شنيع.


SHU-MIR
سحب أد-ماه إيجي-زواً بقوة، وانطلق به عائداً إلى القافلة قبل أن ينكشف أمرهما. وصلا إلى خيام العائلة، ومعهم ذلك الصندوق الغامض، محملاً بذهب لا يزن شيئاً، وبسرٍّ سيغير موازين القوى في رحلتهم الطويلة نحو أرض الميعاد
اما "شومير" لم يتركه يرحل حباً فيه، بل لأنه كان يمهد له الطريق ليحمل "الأداة التقنية" التي ستحتاجها السلالة القادمة لمواجهة فراعنة مصر.. ومواجهة "شومير" نفسه في المستقبل البعيد
الطوفان الثاني وسفر الذكاء الاصطناعي في التكوين
اور العراق
أد-ماه – شومر – شولجي
مع تحيات الكاتب: ناجي علي امهز